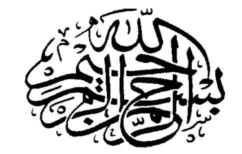
تبصير القلب السليم
بوصايا
لقمان الحكيم

تأليف

عبدالجليل أحمدعلي







تبصير القلب السليم
بوصايا
لقمان الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم

رقم الإيداع
١٨٦١٤ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولي
977-331-421-9

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، مَن يَهده اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين اهتدوا بهديه، وساروا على طريقته إلى يوم الدين.

وبعد،

إن القرآن الكريم هو دستور أمة الإسلام، فيه الأحكام والعبادات والأمثال والحكم والآداب، ومن يتعايش مع آيات الله يرى الكثير والكثير من أنوار وهداية هذا القرآن، ومن بين هذه الإشراقات وصية لقمان في القرآن وخصوصًا سماها سورة لقمان، حيث حوت هذه الوصية الجليلة على لسان عبد من عباد الله الصالحين أجرى الله على لسانه

كلامًا كله حكم ومواعظ، فأقرها الله سبحانه وتعالى، وجعلها في قرآن يتلى إلى يوم القيامة.

فبين يديك أيها القارئ الحبيب شرحًا مفصلاً لهذه الوصية بداية بالتعريف بلقمان، وقضية الشكر ثم وصيته لابنه التي بدأها بالتوحيد، والبعد عن الشرك، وسار به إلى بر الوالدين وذكر محاسن الآداب والأخلاق، فكانت بحق وصية جامعة شاملة.

والله سبحانه وتعالى وحده أعلم كم بذلت من جهد لإخراج هذه الوصية في أحسن حال، لأنني قد سبقني في شرحها الكثير من خير كتاب المسلمين ـ جزاهم الله خيرًا ـ، فنرجوا من الله تعالى القبول والسداد، وأن يكون هذا العمل ابتغاء وجه الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، وأن يجعله هاديًا لجامعه وكاتبه وناشره وقارئه وكل من ساهم فيه بجهد إلى جنات النعيم، وأن يجعله حجة لهم لا حجة عليهم، وأن ينفع به من انتهى إليه .. إنه قريب سميع مجيب.

عبد الجليل أحمد علي

وصايا لقمان الحكيم

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا



مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ

ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧) وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾.



من هو لقمان؟

قال ابن كـثيـر ـ رحمـه الله تعالى ـ: اخـتلف السلف الصالح في لقمان هل كان نبيًا أو عبدًا صالحًا من غير نبوة؟ . . على قولين، والأكثرون على الثاني.

وقال سـفيان الثوري عن الأشـعث عن عكرمة عن ابن عباس قال: «كان لقمان عبدًا حبشيًا نجارًا».

وقال قتـادة عن عبد الله بن الزبير، قلت لجـابر بن عبد الله: «ما انتهى إليكم من شأن لقمان؟»، قال: «كان قصيرًا أفطس الأنف من النوبة».

وقال يحيى بن سعيد الأنصـاري عن سعيد بن المسيب، قال: «كان لقـمان من سودان مصر، ذا مـشافر، أعطاه الله الحكمة، ومنحه النبوة».

وقال حكام بن أسلم عن سـعيد الزبيدي عن مـجاهد: «كان لقمـان الحكيم عبدًا حبـشيـًا غليظ الشفتـين، مصفح

القـدمين، قـاضـيًا على بني إسـرائيل» . . وأيا من كـان لقمان، فقد قرر القرآن الكريم أنه رجل أتاه الله الحكمة.

حكمة لقمان:

إن لقمان الحكيم . . قد منَّ الله عليـه بفصاحة اللسان، وكانت تخرج الكلمات حكم مأثورة حفظها له التاريخ عن ظهر قلب.

يقول ابن كثير: عن ابن جرير أن لقمان أتاه رجل وهو في مجـلس ناس يحدثهم، فـقال: ألست الذي كنت ترع« مـعي الغنم في مكان كذا وكذا؟، قال: نعم، قـال: فما بلغ بك ما أرى؟، قال: صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني.

وعن ابن أبي حـاتم، قال: إن الله رفع لـقمـان الحكيم بحكمتـه رآه رجل كان يعرفـه قبل ذلك، فـقال له: ألست عـبـد بني فـلان الذي كنت ترعى بالأمس؟، قـال: بلى، قال: فـما بلغ بك ما أرى؟، قال: قـدر الله وأداء الأمانة، وصدق الحديث، وتركي ما لا يعنيني.

وعن عبد الله بن وهب، قال: وقف رجل على لقمان الحكيم، فقال: أنت لقمان .. أنت عبد بني الحسحاس؟، قال: نعم، قال: أنت راعي الغنم، قال: نعم، قال: أنت الأسود، قال: أما سوادي فظاهر فما الذي يعجبك من أمري!، قال: وطء الناس بساطك، وغشيهم بابك، ورضاهم بقولك، قال: يا ابن أخي، إن صغيت إلى ما أقول لك كنت كذلك، قال لقمان: غضي بصري، وكفى لساني، وعفة طعمتي، وحفظي فرجي، وقولي بصدق، ووفائي بعهدي، وتكرمتي ضيفي، وحفظي جاري، وتركي ما لا يعنيني، فذاك الذي صيرني إلى ما ترى.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ (لقمان: ١٢)، أي: الفهم والعلم والتمييز.

قال تعالى: ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ (لقمان:١٢)

قال ابن كثير - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ أي: أمرناه أن يشكر الله - عَزَّ وَجَلَّ - على ما آتاه

ومنحه ووهبــه من الفضل الذي خصصه بــه عمن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه.

وقال سيد قطب ـ رحـمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴾: وهذا توجيه قرآني ضمني إلى شكر الله، اقــتــداءً بهذا الرجل الحكـيم المختــار الذي يعرض قــصتــه وقوله، وإلى جواز هذا التــوجيــه الضمني توجيه آخر، نشكر الله إنما هو رصيد مــذخور للشاكر ينفعه هو، والله غني عنه، فالله مــحمود بذاته، ولو لم يحــمده أحد من خلقه، ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (لقمان: ١٢).



حقيقة الشكر

من مكارم القرآن ومكارم الأخلاق التي حث عليها الإسلام خُلُق الشكر، وهو في أعلى المراتب والمنازل الدالة على صدق الإيمان، والاعتراف بحق الرحمن، وإظهار نعمه للعيان.

وشكر العبد يدور على ثلاثة أركان لا يكون شاكرًا إلا بمجموعها، وهي الاعتراف بالنعمة باطنًا، والتحدث بها ظاهرًا، والاستعانة بها على طاعة الله.

فالشكر يتعلق بالقلب واللسان والجوارح، فالقلب للمعرفة والمحبة، واللسان للثناء والحمد، والجوارح لاستعمالها في طاعة المشكور، وكفها عن معاصيه.

جزاء الشاكرين:

جزاء كل عمل يأتي على مقدار الإخلاص فيه، وانضباطه بقواعد المنهج الإلهي، ولما كان الشكر أعلى

منازل المتقربين إلى الله تعالى، فلا غرابة أن يكون أجره جزيلاً، وثوابه كثيراً.

الشكر والإيمان: فقد قرن الله - عَزَّ وَجَلَّ - الشكر بالإيمان، وأخبر أنه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا، فقال سبحانه وتعالى: ﴿**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ**﴾ (النساء: ١٤٧) أي: إن وفيتم ماخلقتم له وهو شكر والإيمان، فما أصنع بعذابكم.

وأخبر سبحانه أن أهل الشكر هم المخصوصون بمنته عليهم من بين عباده، فقال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ**﴾ (الأنعام: ٥٣).

قال وهب بن منبه: رؤوس النعم ثلاثة:

فأولها - نعمة الإسلامة التي لا تتم نعمة بها.

والثانية - نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها.

والثالثة - نعمة الغني التي لا يتم العيش إلا به.

وقسم الله سبحانه وتعالى الناس إلى: شكور، وكفور، بأبغض الأشياء إليه الكفر وأهله وأحب الأشياء إليه الشكر وأهله، فقال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٣).

الأنبياء والشكر:

فقد مدح الله سبحانه وتعالى أنبياءه على خلق الشكر، فقال سبحانه عن خليله إبراهيم عليه السلام، فأثنى عليه بشكر نعمه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

(النحل: ١٢٠-١٢١)

فأخبر سبحانه بأنه أمة، أي: قدوة يؤتم به في الخير، وأنه كان قانتًا لله، والقانت هو المطيع المقيم على طاعته، والحنيف هو المقبل على الله المعرض عما سواه، ثم ختم له هذه الصفات بأنه شاكر لأنعمه، فجعل الشكر غاية حليلة.

قال نبيه سليمان عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل: ٤٠).

وقال عن لقمان: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (لقمان: ١٢)، أي: أمرناه بالشكر لله على ما أتاه ومنحه ووهبه من الفضل الذي خصه به، ثم أخبره سبحانه أن الشكر يعود نفعه وثوابه على الشاكرين.

الرسول ﷺ والشكر:

وقد كان رسول الله ﷺ يقوم في صلاته حتى تتفطر قدماه، فقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً؟**».

(الصحيحين)

وصية رسول الله ﷺ لمعاذ:

ووصى رسول الله ﷺ معاذ رضي الله عنه قائلاً له: «**والله إني لأحبك، فلا تنسى أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك**» (الصحيحين).

وقد أطلق رب العزة تبارك وتعالى جزاء الشاكرين، فقال سبحانه: ﴿ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٥)، وقال: ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٤).

ووصف الله سبحانه أهل الشكر بأنهم قلة، والقليل من العباد المتصف بالشكر، فقال سبحانه: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (سبأ: ١٣).

نوح عليه السلام:

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على نوح عليه السلام بأنه متصف بالشكر، فقال سبحانه: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (الإسراء: ٣).

آل داود عليه السلام:

﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ﴾ (سبأ: ١٣).

أي: قلنا لهم اعملوا شكرًا على ما أنعم به عليكم في الدين والدنيا، وقد كان آل داود عليهم السلام كذلك قائمين بشكر الله قولاً وعملاً.

وقد ورد أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ كان قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله، فلم يكن ساعة من ليل أو نهار، إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي فيها، قال: فعمهم الله تبارك وتعالى في هذه الآية: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾.

وروى الإمام أحمد أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: يا رب .. هل بات أحد من خلقك الليلة أطول ذكرًا مني؟، فأوحى الله إليه، نعم: الضفدع، وأنزل قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾، قال: يا رب: كيف أطيق شكرك، وأنت الذي تنعم عليَّ، ثم ترزقني على النعمة الشكر، ثم تزيدني نعمة بعد نعمة، فالنعم منك، والشكر منك، فكيف أطيق شكرك؟، قال: الآن عرفتني يا داود.

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي عمران الجوني عن أبي الخلد، قال: قال موسى: يا رب .. كيف لي أن أشكرك وأصغر نعمة وضعتها عندي من نعمك، لا يجازى بها عملي كله، قال: فأتاه الوحي، يا موسى الآن شكرتني.

الشيطان ونسيان العباد الشكر:

ولما عرف عدو الله إبليس قدر مقام الشكر، وأنه من أجل المقامات وأعلاها جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه، فقال: ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٧).

وقد أخبر سبحانه وتعالى أنما يعبده من شكره، فمن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته، فقال سبحانه: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٢).

المؤمن شاكرًا لله:

فعن يحيى بن سنان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا المؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له»** (رواه مسلم).

وقد حرص رسول الله ﷺ أن يكون الإنسان دائمًا شاكرًا لربه سبحانه وتعالى، فدل أصحابه أن يقولوا ذكرًا

لله تعالى كل صباح وفي كل مساء يعترف الإنسان فيه بنعم الله تعالى عليه وعلى جميع الخلائق، فقال: «**اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك، فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد، ولك الشكر**»، وأخبر ﷺ أن من قاله في الصباح، فقد أدى شكر يومه، ومن قاله في المساء، فقد أدى شكر ليلته.

نعم الله كثيرة، وعجز الإنسان عن الشكر:

أن الإنسان لو قام قيام السارية، وانقطع ظهره من العبادة، ما أدى شكر هذه النعم، فرحمة الله واسعة بعباده.

فقال تعالى: ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (النحل:١٨)، أي: ينبهم الله على كثرة نعمه عليهم وإحسانه إليهم، وأنه يتجاوز عنكم ولو طالبكم بشكر جميع نعمه، لعجزتم عن القيام بذلك، ولو أمركم به لعجزتم ولضعفتم وتركتم، ولو عذبكم لعذبكم وهو غير ظالم لكم، ولكنه غفور رحيم، يغفر الكثير، ويجازي على اليسير.

وقال سبحانه: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (إبراهيم: ٣٤).

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ في تفسير آيات النعم في سورة النحل، فقال ولقد استعرض ألوانًا من النعمة، فهو يعقب عليها: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾، فضلاً على أن تشكروها، وأكثر النعم لا يدريها الإنسان، لأنه يألفها فلا يشعر بها إلا حين يفتقدها، وهذا تركيب جسده ووظائفه متى يشعر بما فيه من إنعام إلا حين يدركه المرض، فيحسن بالاختلال، إنما يسمعه غفران الله للتقصير ورحمته بالإنسان الضعيف، فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.
(النحل: ١٨)

من فوائد الشكر:

أنه سبب النجاة من العذاب، ورفع الضيق، وتفريج الكربات.

قال تعالى: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ (النساء:١٤٧)، ولما حاق العذاب بقوم لوط ﷺ ـ بعدما تماروا بالنذر وارتكسوا في حمأة الفواحش والآثام ـ كانت النجاة نصيب الأطهار الشاكرين، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴾ (القمر: ٣٤-٣٥).

* ومن فوائد الشكر . . أنه فوز بمرضات الله تعالى، لأن الشكر إذعان لأمر الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ واعتراف بنعمته وفضله، وصوف لآلائه ونعمائه عن الجمود والكفران.

قال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ (الزمر:٧)، ورضا الخالق أغلى أماني العبد، وأسمى ما يطمح إليه، فمن حازه فاز بجماع الخير، وحل بحرز أمين، ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (القمر: ٥٤-٥٥).

* ومن فوائد الشكر . . أنه سبب زيادة النعمة.

بذلك تأذن الله - عَزَّ وَجَلَّ - ووعد وعـدًا قاطعًا أن يديم نعـمتـه على من شكره، وأنه يزيده من فـضله نعمـة على نعمـة، فقال سبـحانه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم: ٧).

فعلق - سبحانه وتعالى - المزيد بالشكر والمزيد من الله لا نهاية له، كما لا نهاية لشكره فزيادة النعمة علامة شكرها.

ومن زويت النعمة عنه، أو نقص نماؤها - فقد أوتي من قبل نفسه، فإذا ما رقق في أسبـاب ذلك وجد نفسه مقصرًا في شكر النعمـة قولاً وعملاً، فـللَّه سبحانه وتعـالى وعد بالحفظ، والمزيد ما استقام العبد على الطاعـة والإحسان: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٥٣)، ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد: ١١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قـال: «بينمـا رجل يمشي بفـلاة من الأرض فـسمع صوتًا في سحـابة: اسق حديقـة

فلان، فتنحى ذلك السحاب، فأفرغ ماءه في حرة (أرض صلبة)، **فإذا شرجة** (سيل ماء) **من تلك السراج قد استوعبت الماء كله فتبع الماء، فإذا رجل قائم يحول الماء بمسحاته** (فأسه)، **فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟، قال: فلان، للاسم الذي في السحابة، فقال له: يا عبد الله، لم تسألني عن اسمي؟، فقال: إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هنا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟، فقال: أما .. إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها: فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثًا، وأرد ثلثًا»** (رواه مسلم).

فياله من شكر عظيم لنعمة الخالق سبحانه وتعالى، فلا عجب أن يبلغ المزيد من اتخذه مطية.

كيف يشكر العبد ربه:

فلابد للعبد أن يعرف حقيقة الشكر، وكيف يشكر ربه سبحانه وتعالى.

أولاً ـ الاعتراف بفضل المنعم ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، ورد كل نعمة إلى جوده وكرمه، مع الاعتقاد الجازم، بأن نيل النعم لا يكون بحول العبد ولا بقوته، وإنما هو تفضل من الله تعالى ومنة، ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة: ٥٤).

ثانيًا ـ استعمال نعم الله تعالى المادية والمعنوية في طاعته ورضوانه.

فالإنسان يتقلب في نعم كثيرة، وشكر الله على هذه النعم تسخيرها في طاعته وعدم استعمالها في معصيته، فالبدن والمال والأهل والأولاد والجاه والسلطان، لو فرط الإنسان في هذه النعم كان مسيئًا في حق نفسه وظلمها.

ثالثًا ـ التحدث بنعم الله، ولا سيما نعمة الهداية والإيمان، صورة من صور الشكر للمنعم ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يكملها البر بعباده، وهو المظهر العملي للشكر.

قال الحسن ﷺ: أكثروا ذكر هذه النعم، فإن ذلك شكرها بلسان الحال، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يحدث بنعمة ربه، فقال سبحانه: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (الضحى: ١١).

والحديث عن هذه النعم الذي يعتبر شكرًا إنما الحديث النافع الكريم المتواضع، البعيد عن الزهو والفخر والرياء، إنما هو الحديث الذي يرد الفضل لصاحبه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ويظهر عظيم لطفه وجميل كرمه.

رابعًا ـ ظهور أثر النعمة على صاحبها: وذلك مظهر من مظاهر شكر النعمة، قال ﷺ: **«إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»** (رواه الترمذي).

وقد أدرك هذا أقوام صفت قلوبهم، وعرفوا فضل الله عليهم عن يونس بن عبيد، قال: سأل رجل أبا غنيمة كيف أصبحت؟، قال: أصبحت بين نعمتين لا أدري أيتها أفضل، ذنوب سترها الله عليَّ، فلا يستطيع أن يعيرني بها أحد، ومودة قذفها الله في قلوب العباد، فلا يبلغها عملي.

ويبقى المرء عاجزًا لا يدري أي نعم الله يشكر أجميل ما يسر أم قبيح ما ستر، إنها نعم لو تقطعت أعناق أهلها شكرًا، لكانوا مقصرين.

شكر الجوارح:

وجميع الجوارح لها شكر للمنعم سبحانه وتعالى، وهي بصونها عن المحرمات.

قال رجل لأبي حازم: أما شكر العينين يا أبا حازم، فقال: إني رأيت بهما خيرًا أعلنته، وإن رأيت بها شرًا سترته، قال: فما شكر الأذنين؟، قال: إن سمعت بهما خيرًا وعيته، وإن سمعت بهما شرًا دفعته، قال: فما شكر اليدين؟، قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما، ولا تمنع حقًا لله هو فيهما، قال: فما شكر البطن؟، قال: أن يكون أسفله طعامًا وأعلاه علمًا، قال: فما شكر الفرج؟، قال: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ (المؤمنون: ٥-٦-٧).

قال: فما شكر الرجلين؟، قال: إن علمت مشيا تغبطه استعملت بهما عمله، وإن مقته رغبت عن عمله، وأنت

شـاكـر لله، وأما مـن شكر باللسـان، لم يشكر بجـمـيع أعضـائه، فمثله كـمثل رجل له كـساء، فأخـذ بطرفه ولم يلبسه، فما ينفعه ذلك من الحر، والبرد والثلج والمطر.

أنواع الشكر

المتأمل لحـقيقة الشكر، ومـا أخبر به سبحـانه وتعالى، ومن سنة رسول الله ﷺ نجد أن الشكر أنواع:

١ ـ **شكر القلب:** وهو تصور النعمة.

٢ ـ **شكر اللسان:** وهو الثناء على المنعم.

٣ ـ **شكر الجوارح:** وهو مكافأة النعمة بقدر الاستحقاق.

وصدق القائل:

أفـادتكم النعـمـاء مني ثلاثة
يدي ولساني والضمير المحجبا

——— ✲ ———

الوصية الأولى

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان:١٣).

فضل التوحيد:

التوحيد الذي جاءت به الرسل، إنما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا الله .. لا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا له، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

ومعنى الآية أن الله تعالى ما خلقهم إلا من أجل أن يفرده بالعبادة، وعبادته هي طاعته بفعل المأمور وترك المحظور، وذلك هوحقيقة دين الإسلام لأن معنى الإسلام هو الاستسلام لله المتضمن غاية الانقياد في غاية الذل والخضوع.

وقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ (النحل: ٣٦).

والطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد، وهو كل ما عبد من دون الله وهو راض.

ومعنى الآية .. أخبر سبحانه أن بعث في كل أمة، أي (في كل طائفة وقرن من الناس)، رسولاً بهذه الكلمة ﴿ **أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ أي: اعبدوا الله وحده، واتركوا عبادة ما سواه، فلهذا خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار، فقال لي: **«يا معاذ اتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟»**، فقلت: الله ورسوله أعلم، فقال: **«حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا شرك به شيئًا»**، فقلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟، قال: **«لا تبشرهم فيتكلوا»** (البخاري ومسلم)، فأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا.

نداء من الله:

عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تعالى: **«يا ابن آدم .. إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك، ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني لغفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة»** (الترمذي) .

وقوله: **«ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا»** شرط ثقيل في الوعد بحصول الغفرة، وهي السلامة من الشرك كثيره، وقليله صغيره وكبيره، ولا يسلم من ذلك إلا من سلم الله تعالى، وذلك هو القلب السليم، كما قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ .

(الشعراء: ٨٨-٨٩)

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: في معني الحديث لأهل التوحيد المحض الخالص، الذي لا يعكره بالشرك ما لا

يعني لمن ليس كذلك، فلو لقى الموحد الذي لا يشرك بالله شيئًا البتة ربه بقراب الأرض خطايا أتاه بقرابها مغفرة.

بشرى جبريل للموحدين:

عن أبي ذر ﷺ: عن النبي ﷺ قال: **«أتاني جبريل ﷺ، فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة»**، قال أبو ذر: يا رسول الله .. وإن زنى وإن سرق، قال: **«وإن زنى وإن سرق»**، في الثالثة، قال: **«رغم أنف أبي ذر»** (الصحيحين)

الخوف من الشرك والتحذير منه:

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ (النساء: ٤٨).

فالشرك هو أعظم الذنوب، لأن الله تعالى أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه، وذلك يوجب للعبد شدة الخوف من الشرك، لأنه أقبح القبيح، وأظلم الظلم، وتنقص لرب العالمين، وصرف خالص حقه لغيره، قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** ﴾ (الأنعام: ١).

*** قوله - عَزَّ وَجَلَّ - مبيناً عظم الشرك:**

قال تعـالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (المائدة: ٧٢).

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (الحج: ٣١).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾.

(النساء: ٤٨)

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾.

(النساء: ١١٦)

وقال الله - عَزَّ وَجَلَّ لصفوة خلقه وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام بعد أن أثنى عليهم: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

(الأنعام: ٨٨)

وقال لخاتمهم محمد ﷺ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (الزمر: ٦٥-٦٦).

فالشرك .. أعظم ذنب عصى الله به، ولهذا أخبرنا سبحانه أنه لا يغفره، وأنه لا أضل من فاعله، وأنه مخلد في النار، ولا نصير له، ولا حميم، ولا شفيع يطاع، وأنه لو قام لله تعالى قيام السارية ليلاً ونهارًا، ثم أشرك مع الله تعالى غيره لحظة من اللحظات، ومات على ذلك، فقد حبط عمله كله بتلك اللحظة التي أشرك فيها.

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«من مات يشرك بالله شيئًا دخل النار»**، قال: وقلت أنا (عبد الله بن مسعود): «ومن مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة» (مسلم).

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيُّ الذنب أعظم عند الله؟، قال: **«أن تجعل لله ندًا وهو خلقك»** (الصحيحين).

خوف إبراهيم عليه السلام من الشرك:

قال تعالى: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ (إبراهيم: ٣٥)، فالخليل إبراهيم عليه السلام الذي قام بتكسير الأصنام يدعو الله أن يباعده ويجنبه عبادة الأصنام، قال إبراهيم التميمي: من يأمن البلاء بعد إبراهيم؟.

فإذا كان الخليل إمام الحنفاء الذي جعله الله أمة واحدة، وابتلاه بكلمات فأتمهن، وقال: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ البقرة: ١٢٤)، وأمر بذبح ولده، فامتثل أمر ربه، وكسر الأصنام، واشتد نكيره على أهل الشرك، ومع ذلك يخاف أن يقع في الشرك الذي هو عبادة الأصنام، لعلمه أنه لا يصرفه عنه إلا بهدايته وتوفيقه.

فهذا أمر لا يؤمن الوقوع فيه، وقد وقع فيه الأذكياء من هذه الأمة بعد القرون المفضلة، فاتخذت الأصنام وعبدت، فالذي خافه الخليل عليه السلام على نفسه وبنيه وقع فيه أكثر الأمة بعد القرون المفضلة، فبنيت المساجد والمشاهد على القبور،

وصرفت العبادات لها بكل أنواعها، وأصبح ذلك عند البعض دينا، وهي أوثان وأصنام، كأصنام قوم نوح اللات والعزى ومناة وأصنام العرب . . وغيرهم.

فما أشبه ما وقع في آخر هذه الأمة بحال أهل الجاهلية من مشركي العرب وغيرهم.

خوف رسول الله ﷺ على أمته:

أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟، قال: «**الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءوا في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**» (أحمد والطبراني).

فهذا الحبيب ﷺ يخاف على أصحابه ومن هم؟، فقد وحدوا الله بالعبادة ورغبوا إليه وإلى ما أمرهم به من طاعته، فهاجروا وجاهدوا من كفر به، فكيف لا يخاف من لا فرق بينه وبينهم في العلم والعمل.

وقد أخبر رسول الله ﷺ عن أمته بوقوع الشرك الأكبر فيهم، فقال: «ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان» (أبو داود).

الشرك أظلم الظلم:

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام: ٨٢).

قال ابن مسعود ﷺ: لما نزلت هذه الآية .. قالوا الصحابة الكرام وشق عليهم ذلك، وظنوا أن الظلم هو ظلم العبد نفسه، فقالوا: فأينا لم يظلم نفسه، فقال رسول الله ﷺ: «ليس بذاكم .. ألم تسمعوا إلى قول لقمان في القرآن حيث يقول لابنه: ﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان: ١٣)».

أمور من الشرك يفعلها العامة أكثرهم يجهل حكمها:

هذه الأمور التي سنذكرها إن شاء الله غالبها من الشرك الأصغر، ولكن يخشى من المداومة عليها والثقة بها أن

تصير شركًا أكبر، خاصة بعد إقامة الحجة على فاعلها، وإن كان جاهلاً بحكمها.

١ - لبس الحلقة والخيط وتعليق التمائم: ونحوها، لرفع البلاء أو دفعه، قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ (الزمر: ٣٨).

فهذه الآية وأمثالها تبطل تعلق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وأنه شرك بالله، والتوحيد ضد ذلك، وهو أن الله لا يرغب إلا إليه، ولا يتوكل إلا عليه، وكذا جميع أنواع العبادة لا يصلح فيها شيء لغير الله دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة وأئمتها.

ويدخل في المنع كل ما يعلق لدفع ضر أو لجلب نفع، سواء كانت (قلادة، أو خرزة، أو وتر، أو تميمة، أو حذاء، أو حدوة حصان، أو قرن فيل، أو عين، أو خمسة وخميسة، وما أشبه ذلك).

* عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه: أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً: «أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت» (البخاري ومسلم).

* وعن عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ قال: «من تعلق بتميمة، فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة، فلا ودع الله له» (أحمد).

فقوله: «من تعلق» أي: علقها متعلقًا بها قلبه في طلب خير أو دفع شر، وهذا جهل وضلال إذ لا مانع ولا دافع إلا الله وحده.

ودعاء رسول الله ﷺ بقوله: «فلا أتم»، «فلا أودع» أي: فلا يجعله الله في أمان ولا دعة ولا اطمئنان ولا سكون.

* وعن عمران بن حصين رضي الله عنه: أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صُفر، فقال: «ما هذا؟»، قال: «من الواهنة»، فقال: «انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا» (أحمد).

٢ ـ ومن الشرك .. التبرك بالحجر والشجر ونحوهما: قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى ﴾ .

(النجم: ١٩-٢٠)

ومعنى الآية .. أفرأيتم هذه الآلهة أنفعت أو ضرت حتى تكون شركاء لله.

ـ إن عباد هذه الأوثان إنما كانوا يعتقدون حصول البركة منها، بتعظيمها ودعائها، والاستعانة بها والاعتماد عليها.

فالتبرك بقبور الصالحين كاللات والعزى والأشجار والأحجار، وفعل فعل المشركين مع أوثانهم وأصنامه، واعتقد في قبرًا أو حجرًا أو شجر، فقد تشبه بعباد الأوثان فيما يفعلونه معها من هذا الشرك.

حادثة الصحابة ﵃:

عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة (شجرة) يعكفون عندها وينوطون (يعلقون) بها أسلحتهم،

يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر .. إنها السنن قلتم، والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٣٨)، لتركبن سنن من كان قبلكم» (الترمذي).

ففي هذه الحادثة الخوف من الشرك، وأن الإنسان قد يستحسن شيئًا يظن أنه يقربه إلى الله، وهو أكثر ما يبعده عن رحمه ويقربه من سخطه، ولا يعرف هذا على الحقيقة إلا من عرف ما وقع في هذه الأزمان من كثير الناس مع أرباب القبور من الغلو فيها، وصرف جل العبادة لها، ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

ولهذا جعل رسول الله ﷺ طلبهم كطلب بني إسرائيل، ولم يلتفت إلى كونهم سموها ذات أنواط، فالمشرك مشرك وإن سمى شركه ما سماه، كمن يسمي التمسح والدعاء والسفر إليهم ونحو ذلك تعظيمًا ومحبة، فن ذلك هو الشرك، وإن سماه ما سماه.

٣ـ ومن الشرك الذبح لغير الله: قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣)، والنسك هو: الذبح.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذي يعبدون غير الله، ويذبحون له: بأنه أخلص لله صلاته وذبيحته، لأن المشركين يعبدون الأصنام، ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد، والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى، قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ (الكوثر: ٢).

وقد لعن رسول الله ﷺ من توجه بالذبح لغير الله، فقال: «لعن الله من ذبح لغير الله» (مسلم).

فالذبح عن الأصنام والقبور وغير ذلك يعد شرك، ومخالفة لملة محمد ﷺ: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ ﴾ (المائدة: ٣)، والإهلال أن تقول أو تنوى أن هذه ذبيحة الشيخ فلا، أو المولد الفلاني (ما يطلبه الدجالون من الذبائح للجن).

٤ - ومن الشـرك .. النـذر لغـيـر الله: وذلك لأن النذر من العبـادة التي لا يجوز صرفـها لغير الله - عَـزَّ وَجَلَّ -، قال تعالى في مدح الأبرار: ﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**﴾ (الإنسان: ٧).

وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ**﴾ (البقرة: ٢٧٠).

* عن عـائشة رضي الله عنها: أن رسـول الله ﷺ قـال: «**من انذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصيه**».

(البخاري)

فمن صرف النذر لغير الله، فقد أشرك كمن يقول: لو شُفي مريضي أو رد غائبي، اذهب بكذا وكـذا عند سيدي فلان، أو يقول: يا سيدي فلان لو نحج ابني، أذهب بكذا وكذا.

حرص رسول الله ﷺ على جناب التوحيد:

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، وقال: نذرت أن أنحر إبل ببوانة (مكان بعيد عن مكة)، فسأل رسول الله ﷺ

قائلاً: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟»، قالوا: لا، قال: «فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟»، قالوا: لا، فقال رسول الله ﷺ: «أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم» (أبو داود).

٥ ـ ومن الشرك تصديق الكهان والمنجمين بما يقولون:

والكاهن أو العراف أو المنجم أو الرمال هو الذي يدعي علم الغيب، أو يدعي الكشف، قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ٢٦).

وقد حذر رسول الله ﷺ من ذلك، وأخبر عنهم أنهم لا تقبل منهم صلاة، فقد قال: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء (فصدقه)، لم تقبل منه صلاة أربعين يومًا» (مسلم).

وقال ﷺ: «من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقوله، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» (أحمد).

وقال ﷺ: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» (أحمد).

٦ - من الشرك الحلف بغير الله: أن الحلف لا يكون إلا بالله، أو صفة من صفاته، لأنه عبادة فمن صرفها إلى غيره كان مشركًا شركًا أصغر، كان يحلف بالنبي والولي والأب والأم والأمانة وغير ذلك.

* عن ابن عمر ﵄: أن رسول الله ﷺ قال: **«من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»** (الترمذي).

ورأى رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب يسير في ركب يحلف بأبيه، فقال: **«ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفًا، فليحلف بالله أو ليصمت»** (البخاري).

وذلك قد أمر رسول الله ﷺ من الإنسان الذي يتلفظ بهذه الألفاظ أن يقول: **«لا إله إلا الله»**.

- الحلف بالأمانة: قال فيه رسول الله ﷺ: **«من حلف بالأمانة .. فليس منا»** (أبو داود).

وقال رسول الله ﷺ: **«من حلف فقال: إني بريء من الإسلام، فإن كان كاذبًا، فهو كما قال، وإن كان صادقًا، فلن يرجع إلى الإسلام سالمًا»** (أبو داود).

الوصية الثانية

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ (لقمان:١٤).

إن أولى الناس وأجدرهم وأكثرهم استحقاقًا للبر والرحمة والشفقة وحسن المعاشرة هم الأمهات والآباء، وذلك لأن إرادة الله تعالى قد اقتضت أن يخرج الأولاد إلى الوجود بسببهم، ثم هم بعد ذلك أصحاب الفضل على أولادهم في الحمل والولادة والرضاعة والتربية والإنفاق والتعهد، ويتحملون في سبيل ذلك ما لا يعلمه إلا الله وحده، وهو القادر على جزائهم.

بر الوالدين قضية قرآنية:

من أجل ذلك كان البر بالوالدين قضية إيمانية، إضافة إلى كونه قضية قرآنية، قضية إيمانية، فلأن الآيات الشريفة، والأحاديث النبوية جعلت ذلك من مقتضيات الإيمان.

وأما قضية قرآنية . . فذلك لأن القرآن الكريم أولى البر بالولدين عناية فائقـة، فجاءت الآيات المباركـة تدعوا إليه، وتحث عليه، وجعلته قرين الإيمان بالله وحده، قال تعالى: ﴿ واعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (النساء: ٣٦)، وقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (الإسراء: ٢٣).

قال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (الانعام: ١٥١).

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾.

(العنكبوت: ٨)

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾.

(لقمان: ١٤)

ومن هنا نعـــلم جــيـــدًا أن طاعــة الــوالدين من أوجب الواجبات وأفضل القربات، فــبرهما من أحب الأعمال إلى الله تعــالى كمــا في الحديث الصــحيح يقــول عبــد الله بن مســعود ﷺ: سألت رســول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعــالى؟، قال: «**الصــلاة على وقــتــهــا**»، قلت: ثم أي؟، قال: «**بر الوالدين**»، قلت ثم أي؟، قال: «**الجهاد في سبيل الله**» (متفق عليه).

ومن هنا حث الإســـــلام الأبناء لكي يقـــومـــوا بواجب الرعاية لآبائهــم، وحتى يندفع الأبناء بقوة عــلى طريق البر بالوالدين، فقرن الله تعالى برهما بالإيمان به، وجعل رسول الله ﷺ ذلك من أعــلى درجـــات الإيمان، وذكـــره مع الصلاة لوقتها، والجهاد في سبيل الله.

الأنبياء وبر الوالدين:

وأثنى الله تعالى على الأنبياء لــبرهم لآبائهم وأمهاتهم، فقال عن:

يحيى عليه السلام: لأنه كان برًا بوالديه على كبر سنهما، فقال تعالى: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ (مريم: ١٤).

وعن عيسى عليه السلام: لتفانيه في خدمة أمه، واعتزازه ببرها، واعترافه بفضلها، وخفض الجناح لها، فقال تعالى: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ (مريم: ٣٢).

وعن إسماعيل عليه السلام: إن أبلغ مثل يضربه القرآن الكريم في طاعة الوالد وبره قصة سيدنا إسماعيل عليه السلام، مع خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الصافات: ١٠١-١٠٢).

وهكذا كان سيدنا إسماعيل عليه السلام، كان مثالاً للنبوغ والبر والفهم، فلم يشك في حنان أبيه، ولم يفتنه الشيطان، ولم يزغه عن أمر ربه عندما أخبره أبوه بالرؤيا، وهي من الوحي الإلهي، فلم يجزع، ولم يخالف، بل

استسلم لأمر الله تعالى، بل أعان أباه على الطاعة وشجّعه على تنفيذ أمر ربه، فقال: ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾، أما أنا فقد رضيت بما قدره الله لي، وإن أبت عليّ نفسي، فسأرغمها بالصبر، ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾.

أحق الناس بالصحبة:

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، مَن أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**امك**»، قال: ثم مَن؟ قال: «**امك**»، قال: ثم مَن؟ قال: «**امك**»، قال: ثم مَن؟ قال: «**ابوك**» (متفق عليه).

وفي رواية .. يا رسول الله، من أحق بحسن الصحبة؟، قال ﷺ: «**امك، ثم امك، ثم امك، ثم اباك، ثم ادناك ادناك**».

الابن البار دعوته مستجابة:

على الأبناء أن يرجوا من الله تعالى كما ورد في حديث أصحاب الغار إجابة دعاء من بر والديه.

قصة أصحاب الغار:

وقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فدعا أحدكم بعفته من الزنا، والآخر بحفظ الأمانة.

وقال رجل: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق (أحلب اللبن) قبلهما أهلاً، ولا مالاً، فنأى بي طلب الشجر يومًا، فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر (وزاد بعض الرواة)، والصبية يبكون عند قدمي، فاستيقظا، فشربا غوبقهما، اللهم إن كنت فعل ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت، فأنقذه الله تعالى بسبب طاعته لوالديه. (متفق عليه).

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني جئت أريد الجهاد معك،

ولقد أتيت، وإن والدي يبكيان، قال رسول الله ﷺ: «**فارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما**» (رواه أحمد).

يا سبحان الله! .. أتدع والديك يبكيان، ويهتز لبكائهما عرش الرحمن، وتضج الملائكة في السموات، وتزعم أنك تريد الجهاد ليرضى عنك الله؟! .. عد إليهما فأضحكهما بلقائك كما أبكيتهما بفراقك، فإذا ضحكا رضيا، وإن رضيا رضي الله تعالى عنك.

* جاء رجل للنبي ﷺ قائلاً: أجاهد، قال: «**ألك أبوان؟**»، قال: نعم، قال: **ففيهما فجاهد**» (البخاري).

ولقد اعتبر رسول الله ﷺ قيام الولد في خدمة أبويه والسعي عليهما جهادًا في سبيل الله.

هذه هي الأم:

فهذه هي الأم الشفوقة، هي التي ذاقت أنواع الآلام مدة حملك، وقاست من الشدائد ما قاست، وقد وضعك، ثم

اضعفت قوتها بإرضاعك حـولين كاملين، وأضعت راحتها بحـملك تارة على اليـدين، وأخـرى على الصـدر، وكم لوثتها بالأقذار والأوسـاخ، وإذا مرضت باتت ليلها ساهرة جائعة باكية حـزينة، متألمة بألمك، تسأل الله الشافي أن يمن عليهـا بشفائك، ولذا يقـول تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ (لقمان: ١٤)، أي: حـملته في بطنهـا وهي تزداد كل يوم ضعـفًا على ضـعف، وقيل المرأة ضعـيفـة الخلقة، ثم يضعفها الحمل.

حالة كبر السن:

جاء رجل إلى عـمر بن الخطاب ﷺ، فقال: يا أمـير المؤمنين، إن لي أمـا بلغ بهـا كبـر سنهـا أنها لا تقـضي حاجـتها (البـول والغائط) إلا وظهـري لها مطيـة، فهل قضيتـها؟ أي: حقها، قال: لا، لأنها كـانت تفعل معك ذلك، وهي تتـمنى لك الحيـاة، وأنت تفعل مـعهـا ذلك وأنت تتمنى لها الموت.

روى أن ابن عمر رضي الله عنهما رأى رجلاً يطوف بالكعبة حاملاً أمه على رقبته، فقال: يا ابن عمر .. أترى أني أجزيتها، قال: لا، ولا بطلقة واحدة.

وقد حثنا الله تعالى بالإحسان بهما في حالة الكبر، قال تعالى: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا ﴾.
(الإسراء: ٢٣)

وخص حالة الكبر لأنها الحالة التي يحتاجان فيها البر، لتغير الحال عليها بالضعف والكبر، لأنهما في هذه الحالة قد صارا كلاً عليه، فيحتاجان فيه الرعاية والعناية، كما أحتاج هو في صغره منهم.

الإنسان يمر بمرحلتين ضعف:

فالإنسان يمر بمرحلتي ضعف، قال تعالى: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾ (يس: ٦٨)، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ (الروم: ٥٤)، فيحتاج

فيهما إلى العناية والرعاية والحب في المرحلة الأولى، عندما يكون صغيراً لا يقـوى على الحركة، ولا على الكلام، ولا على تناول الطعام، فسخر له والدته ووالده لكي يقوما على شؤونه حتى يكبر ويقوى، وذلك بكل محبة وعطف، وهما يرجوان من الله تعال يأن يرياه كبيراً متعلماً رب أسرة.

أما المرحلة الثانية .. فعندما يكبر الإنسان ويشيخ ويضعف وتتكاثر عليه الأمراض فيحـتاج إلى الرعاية، هنا سخر الله الأبناء ليؤدوا ولو جزءاً يسير من الجميل.

الشكر لهما:

قال تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ (لقمان: ١٤)، قيل الشكر لله على نـعمـة الإسـلام والإيمان، ولـلوالدين على نعمة التربية.

قال سفيان بن عـيينة: من صلى الصلوات الخمس، فقد شكر الله تعالى، ومن دعا لوالـديه في أدبار الصلوات فقد شكرهما.

بر الوالدين بعد موتهما:

لم تكتف آيات القــرآن الكريم بالأمــر بالإحـســان إلى الوالدين وإطاعتهما وإكـرامهما، بل فرضت على الأبناء أن يذكروا معــروفهما، وأياديهما بالشكر والثناء، فـلا ينساهما من الدعاء والاستغفـار وطلب الرحمة، قال تعالى: ﴿رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ (الإسراء: ١٤).

ولا يقتـصر الدعاء لهمـا في حياتهـما بل بعد موتهـما أيضًا، حيث تنقطع الأعمال، فلا يتزودون أكثر مما قدما إلا بما يهبه لهما ابنهما.

قال ﷺ : **«إذا مـات الإنســان انقطـع عـمله إلا مـن ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»** (مسلم).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **«ترفع للميت بعد موته درجته، فيقول: أي ربي شيء هذا؟، فيقول له: ولدك استغفر لك».**

(مالك وابن ماجه)

الصحابة وسؤالهم عن بر الوالدين بعد الوفاة:

ترى الصحابة ﷺ .. هل اكتفوا بسؤال رسول الله ﷺ عن بر الوالدين في حال حياتهما، أم تجاوزوا السئوال عن برهما لوالديهما بعد مماتهما.

يقول ملك بن ربيعة الساعدي ﷺ قال: بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله ﷺ هل بقي علي من بر أبوي شيء بعد موتهما أبرهما به؟، قال: **«نعم خصال أربع: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، فهو الذي بقى عليك من برهما بعد موتهما»** (أحمد).

فالصلة إذا ما زالت قائمة بين الولد وأبويه، يطلب الرحمة والمغفرة لهما من الله تعالى، وينفذ عهدهما، فينال بذلك رضي الله ورضاها.

فعل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

هذا عبـد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يـضرب لنا المثل الصـالح في الولد الصالـح، ويروي لنا عبـد الله بن دينار ذلك، فيقول: إن عبد الله بن عمر لقيه رجل بطريق مكة، فسلم عليه عبد الله، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه، فقال أصحابه: أصلحك الله إنهم الأعراب، وأنهم يرضـون باليسيـر، فقال عـبد الله: إن أبا هذا كان ودًا لـعمر بن الخـطاب، وإني سمـعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أبر البر، صلة الرجل أهل ود أبيه»** (مسلم).

✻ ✻ ✻

الوصية الثالثة

قال تعالى: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (لقمان:١٥).

أما في حال الوالدين إذا كانا مشركين بالله تعالى، أو عاصيين له ـ والعياذ بالله ـ، كيف يجب علي الابن البار معاملتهما؟، يجب عليه أن يعاملهما معاملة طيبة فيها رفق، ورحمة، وتكون معامتله مثالاً للمعاملة الإسلامية اقتداءً بالسلف الصالح من صحابة رسول الله ﷺ

سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه: قال: كنت رجلاً بارًا بأمي، فلما أسلمت قالت: يا سعد ما هذا الذي أراك قد أحدثت؟، لتدعن دينك هذا، أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت،

فتعيـر بي، فيُقال: يا قتل أمه، فـقلت: لا تفعلي يا أمه، فـإني لا أدع ديني هـذا لشيء، فـمكثت يومًـا وليلة ولم تأكل، فأصبحت قد جهدت، فمكثت يومًا وليلة أخرى لم تأكل، فأصبحت قد اشتدد جوعها، فلما رأيت ذلك قلت: يا أمة تعلمين والله لو كانت لك مئـة نفس، فخرجت نفسًا نفـسًا، ما تركت ديني هـذا لشيء، فإن شئت فكلي، وإن شئت فلا تأكلي، فأكلت.

فنزل قوله تعالى: ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا** ﴾ (لقمان: ١٥).

أسماء بنت أبي بكر الصديق: قالت: قـدمت أمي وهي مشركـة في عهد رسول الله ﷺ فـاستفتـيت رسول الله ﷺ، وقلت: إن أمي قـدمت عليَّ وهي راغـبـة (أي طامعة فيما عندي من بر)، أفأصل أمي، قال: «**نعم .. صلي أمك**» (البخاري).

أبو هريرة وأمه: وهذا مثال صادق للولد البار، لا يدع فرصة تستفيد منها أمه خيرًا إلا وخصها بها، ولا دعوة صالحة إلا وسألها بها.

عن أبي هريرة ﷺ قال: كنت أدعوا أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يومًا، فسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله .. إني كنت أدعوا أمي في الإسلام، فتأبى علي، فدعوتها اليوم، فسمعتني فيك ما أكره، فادع الله تعالى أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم اهد أم أبي هريرة**»

فيقول أبو هريرة: فخرجت مستبشرًا بدعوة رسول الله ﷺ، فلما جئت إلى الباب وقربت منه، فسمعت أمي صوت قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، فاغتسلت ولبست درعها، وعجلت عن خمارها، وفتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة .. أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

فرجعت إلى رسول الله مسرعًا وأنا أبكي من الفرح، فقلت: يا رسول الله أبشر، فقد استجاب الله دعوتك، وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وقال خيرًا، فقلت: يا رسول الله .. ادع لي أنا وأمي أن يحببني أنا وأمي إلى عباد الله المؤمنين، ويحببهم إلينا، فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم حبب عُبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهما المؤمنين»** فما من مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني.

(رواه مسلم)

تدريب الأولاد على بر الوالدين:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ رأى رجلاً معه غلام، فقال للغلام من هذا؟، قال: أبي، قال: **«فلا تمشي أمامه، ولا تستتب له، ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه»** (ابن السني).

قيل لعمر بن زيد: كيف بر ابنك بك؟ قال: ما مشيت نهارًا قط إلا وهو خلفي، ولا ليلاً إلا مشي أمامي، ولا رقى سطحًا وأنا تحته.

بر رسول الله ﷺ لوالديه من الرضاعة، وبر فاطمة له:

أن رسول الله ﷺ كان جالسًا يومًا، فأقبل أبوه من الرضاعة، فوضع له بعض ثوبه، فقعد عليه، ثم أقبلت أمه من الرضاعة، فوضع لها شق لثوبه من جانبه الآخر، فجلس عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة، فقام النبي ﷺ أجلسه بين يديه (رواه أبو داود).

يقول أبي الطفيل ﷺ: رأيت رسول الله ﷺ يقسم لحمًا بالجعرانة، وأنا يومئذ غلام أحمل عظم الجذور، إذا أقبلت امرأة حتى دنت إلى النبي ﷺ، فبسط لها رداءه فجلست عليه، فقلت: من هي؟، فقالوا: هذه أمه التي أرضعته (أبو داود).

قال ﷺ: **«إن الله يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب»** (البخاري وأحمد).



العقــوق

قال تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ (الإسراء: ٢٣).

كمـا حث الإسلام على بر الوالدين، وجـعل ذلك من أعظم القربات، فـقد نهى عن العـقوق، وجعله من أكـبر الكبائر، فهو من أفحش السيئات وأكبر الذنوب التي يعجل الله عقوبـتها في الدنيا قـبل الآخر، فهو نكران للجـميل، وكفران بالنعمة، وهي مقابلة الإحسان بالإساءة.

يقول ﷺ: **«قـال جـبـريل: رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما، فلم يدخلاه الجنة، قل: آمين، فقلت: آمين»**.

وقال ﷺ: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟»**، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: **«الإشراك بالله وعقوق الوالدين»** (البخاري).

أنت ومالك لأبيك:

هذا الفتى لم تسلك الحقيقة إلى قلبه، ولم يعرف قلبه الرحمة، يأتي رسـول الله ﷺ، والغرور ملء وجهه،

فيقول: يا رسول الله .. إن لي مالاً وولدًا، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي.

هنا تقف الأبوة مشدوهة حائرة، أيكون جزاء فضلي وتعبي أن أقف أنعت بين يدي رسول الله ﷺ بالظلم؟.

أهذا الذي يشكوني هو ذلك الذي ربيته على جودي، وغذيته بخالص نفسي ومالي؟، أهذا الذي كنت أؤمل فيه كف عبرتي، وتنفيس كربتي، وجبر خاطري؟، ورسول الله ﷺ يستمع إلى أهاتها فتتحسر نفسه، ويألم من هذا العقوق، فيرفع على الفتى عصا التأديب الرفيع ويقول: **«أنت ومالك لأبيك»** (ابن ماجه).

واشتكى آخر سوء خلق أمه:

جاء رجل يشتكي سوء خلق أمه، فقال: **«ألم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر؟»**، قال: إنها سيئة الخلق؟، قال: **«ألم تكن كذلك حين أرضعتك حولين؟»**، قال: إنها سيئة الخلق، قال: **«ألم تكن كذلك حين أسهرت ليلها وأظمأت نهارها؟»**.

سب الوالدين:

ومن أكبر الكبائر في العقوق أن يجلب الولد السبة لوالديه بتعديه على غـيره بالسب والضرب أو القذف أو الغيـبة، فلا يجد لنفسه بردًا ولا عزاء إلا الشتم، فيشتم ويُشتم.

هذا خلق سيء منتشر في مـجتمعنا على أوسع الأبواب تنطلق ألسنتنا بسب الناس وآبائهم لأتفه الأمور والأسباب، ولو صدرت فيهم هفوة بسيطة مسحتها كلمة: «عفوًا».

يقول ﷺ : **«إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه»**، قيل: يا رسـول الله . . وكيف يلعن الرجـل والديه؟، قال: **«يسب الرجلُ أبا الرجل، فيسب أباه ويسب أمه»** (البخاري).

كثير من أبناء مجتمعنا يتمازحون فيما بينهم بسب الآباء والأمهـات، ويتفكهـون ويمزحون بكيل السـباب والشـتائم بعضهم لبعض، ويتـضاحكون من هذا الكلام البذئ، كأنه نوع من المدح والثناء.

عن وهب بن منبـه ـ رحمه الله ـ: قـال: إن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام : **«يا مـوسى وقـر والديك، فإن من وقـر**

والديه مـددت في عـمـره، ووهبت له ولداً يوقـره، ومن عق والديه قصرت في عمره، ووهبت له ولداً يعقه».

عن المغيرة بن شعبة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ...»** (البخاري).

قتل الآباء من علامات الساعة:

عن أبي مـوسى الأشعري ﷺ: عن النـبي ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة .. حتى يقتل الرجل جاره وأخاه وأباه»** (البخاري).

العاق لا ينظر الله إليه:

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا ينظر الله إليـهم يوم القـيـامـة، العـاق لوالديـه، والمرأة المتـرجلة، والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العـاق لوالديـه، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطى»** (رواه النسائي).

عقوق الوالدان للأولاد:

إذا سلك الوالدان الطرق الملتوية في التـربية والمعاملة الفظة القاسـية، والعقـوبة الظالمة الشديدة، فيكـونون قد جنوا على أبنائهم حين يقـذفـون بهم إلى الحـيـاة في جو هذه التـربيـة

الخاطئة، والتوجيه الملتوي الذميم، بل سيرون حتمًا انحرافهم أو عقوقهم أو تمردهم، لأنهم هم الذين غرسوا في نفوسهم - وهم صغار- بذور هذا الانحراف أو العقوق أو التمرد، بسبب كثرة المال والتدليل الزائد، وعدم المراقبة والقصور في التربية.

موقف عمر رضي الله عنه:

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه عقوق ابنه، فأحضر عمر الولد، وعنفه عن عقوقه لأبيه، ونسيانه لحقوقه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين، أليس للولد حقوق على أبيه، قال: بلى، قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟، قال عمر: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب (أي القرآن)، قال الولد: يا أمير المؤمنين، إن أبي لم يفعل شيئًا من ذلك، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي، وقد سماني جُعلاً (أي: خنفساء)، ولم يعلمني من الكتاب حرفًا واحدًا.

فالتفت عمر إلى الرجل، وقال له: جئت تشكوا إليَّ عقوق ابنك، وقد عققته قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك؟، هكذا حمل عمر الرجل حين أهمل تربية ابنه مسؤولية عقوق ولده له.

الوصية الرابعة

قال تعالى: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (لقمان:١٦).

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ: هذه وصايا نافعة قد حكاها الله سبحانه عن لقمان الحكيم، ليمتثلها الناس، ويقتدوا بها، فقال سبحانه: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ﴾ أي: إن المظلمة أو الخطيئة، لو كانت مثقال حبة من خردل، ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صماء أو غائبة ذاهبة في أرجاء السموات والأرض، فإن الله يأتي بها، لأنه لا تخفي عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ﴿ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴾ أي: أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط، وجازى عليها إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، كما

قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ أي: لطيف العلم، فلا تخفى عليه الأشياء، وإن دقت ولطفت وتضاءلت ﴿ خَبِيرٌ ﴾ بدبيب النمل في الليل البهيم.

ويقول الدكتور أحمد السعدني في شرحه لهذه الوصية في كتابه (معالم التوحيد في موعظة لقمان الحكيم): وحبة الخردل يضرب بها المثل في الخفة والضآلة، فهي لا يدرك ثقلها بالحس، ولا ترجح ميزانًا، فإنها كانت في أحرز مكان، وأعزه منالاً (مثل الصخرة)، أو كانت في أقصى مكان، وأوسعه انتشارًا (مثل السموات)، أو كانت في أخفى الأماكن وأكثرها ظلامًا (مثل الأرض)، كقوله: ﴿ وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ ﴾ (الأنعام: ٥٩)، فإن كل ذلك في جانب علم الله وقدرته سواء، وكأن الله يقول: فلتكن في صخرة أو حيث كانت من العالم العلوي أو السفلي، فسيأتي بها الله.

وهو كقوله: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (يونس: ٦١)، وكقوله أيضًا: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ .
(الأنعام: ٥٩)

وذكر الصخرة وعطف عليها الأرض، وإنما الصخرة جزء من الأرض، وذلك لقصد تعميم الأمكنة الأرضية كلها، والإتيان كناية عن التمكين منها، ومن العلم بها، فالإتيان بأدق الأجسام، ومن أقصى الأمكنة وأصلبها وأعمقها لا يكون إلا عن علم بكونها في ذلك المكان، وأيضًا عن علم بوسائل استخراجها منه.

فالله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لم يقل: يعلمها الله، بل قال: ﴿ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴾، فقد تعلم أنت مكان الشيء، ولكنك تعجز عن الوصول إليه والإتيان به، فهو كحال من قيل في شأنه

(العين بصيرة، واليد قصيرة)، ولكن الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يعلم مستقرها ومستودعها، فقول الله: ﴿ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴾ يدل على كمال العلم والقدرة.

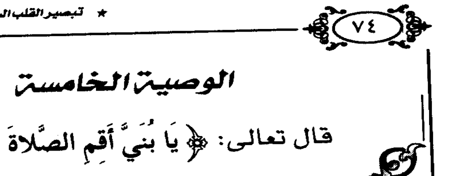
* ويقول الشيخ سيد قطب في تفسيره: وبعد هذا الاستطراد المعترض في سياق وصية لقمان لابنه، تجئ الفقرة التالي في الوصية، لتقرر قضية الآخرة وما فيها من حساب دقيق وجزاء عادل، ولكن هذه الحقيقة لا تعرض هكذا مجردة، إنما تعرض في المجال الكوني الفسيح، وفي صورة مؤثرة يرتعش لها الوجدان، وهو يطالع علم الله الشامل الهائل الدقيق اللطيف: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾

وما يبلغ تعبير مجرد عن دقة علم الله وشموله، وعن قدرة الله سبحانه، وعن دقة الحساب، وعدالة الميزان ما يبلغه هذا التعبير المصور، وهذا فضل طريقة القرآن المعجزة الجميلة الأداء .. العميقة الإيقاع.

حبة من خـردل صغيرة ضائعة، لا وزن لهـا ولا قيمة، ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ .. صلبة محشورة فـيها .. لا تظهر ولا يتوصل إليـها، ﴿أَوْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ ، في ذلك الكيان الهائـل الشاسع الذي يبـدوا فيه الـنجم الكبيـر، ذو الجرم العظيم، نقطة سـابحة أو ذرة تائهـة، ﴿أَوْ فِي الأَرْضِ﴾ .. ضـائعة في ثراهـا، وحصـاها لا تبين، ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ . فعلمه يلاحقهـا، وقدرته لا تفلتها، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ .. تعقيب يناسب المشهد الخفي اللطيف.

ويظل الخيـال يلاحق تلك الحبة من الخـردل في مكامنها تلك العميقة الوسيعة، ويتملى علم الله الذي يتابعها، حتى يخشع القلب وينيب، إلى اللطيف الخبيـر بخفايا الغيوب، وتستقر من وراء ذلك تلك الحقيقة التي يريد القرآن إقرارها في القلب، بهذا الأسلوب العجيب.

* ❋ *



الوصية الخامسة

قال تعالى: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ .. ﴾ (لقمان:١٧)

وتمضي سياق الوصية بتنفيذ اداء الفرائض وأعظم فريضة هي الصلاة، فإن الصلاة هي عماد الدين، وعصام اليقين، ورأس القربات، وغرة الطاعات، ولاشك كذلك في أن الصلاة هي سيدة العبادات وأم الطاعات، وحظ العبد من الإسلام كحظه من الصلاة، وإذا أردت أن تعرف دين العبد، فانظر إلى صلاته.

قال الحسن: «إذا هانت عليك صلاتك، فما الذي يعز عليك».

ومع هذا فقد شاع في زمان الغربة تهاون الناس بها، وتفريطهم في حقها، مع انهماكهم في صنوف اللهو واللعب، وتهالكهم على جيفة الدنيا وحطامها.

فمن ثم مست الحاجة إلى تذكير الناس بعظم قدر الصلاة، وجسامة خطرها، لأن قد خف ميزانها عند كثير من الناس.

الصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين:

قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، لما بعثه إلى اليمن: **«إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله - عَزَّ وَجَلَّ -، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم»** (متفق عليه).

* ومما يدل على عظم قدرها: افتراضها على أنبياء الله ورسله، صلى الله عليهم وسلم.

قال الله تعالى في حق موسى عليه السلام: ﴿ **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي** ﴾ (طه: ١٤)، وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿ **وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا** ﴾ (مريم: ٣١).

الصلاة أمر الله تعالى:

وأمره - عَزَّ وَجَلَّ - يجب طاعته، والمسارعة إلى امتثاله؛ قال تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**

وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ (البينة: ٥)، وقال: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ (البقرة: ٤٣)، وقال: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ .

(البقرة: ٢٣٨)

الصلاة هي الوصية الأخيرة لرسول الله ﷺ:

فقد اقتصر ﷺ في رمقه الأخير ساعة وداعه الدنيا على الوصايا بها وبالرقيق، لما اشتدت به سكرات الموت، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت آخر وصية رسول الله ﷺ، وهو يغرغر بها لسانه: **«الصلاة الصلاة، واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم»** (صحيح).

وصية الفاروق عمر رضي الله عنه:

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى الآفاق: إن أهم أموركم عندي الصلاة، فمن حفظها فقد حفظ دينه، ومن ضيعها، فهو لما سواها أضيع، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة.

فكل مستخف بالصلاة مستهين بها، فهو مستخف بالإسلام مستهين به، وإنما حظكم من الإسلام على قدر حظكم من الصلاة.

الصلاة براءة من النفاق:

قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿ **وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى** ﴾ (النساء: ١٤٢).

وقال ﷺ: **«ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا»**.
(متفق عليه)

وقال رسول الله ﷺ: **«من صلى لله أربعين يومًا في جماعة، يدرك التكبيرة الأولى، كتب الله له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق»** (حديث حسن).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا»** (البخاري).

فبالسجـود يميز الله ـ عَـزَّ وَجَـلَّ ـ المؤمنين من المنافقـين، وفي ذلك قـال تعـالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ (القلم: ٤٢-٤٣)، وذلك أن المؤمنين لما نظروا إلى ربهم خـروا له سـجدا، ودُعي المنـافقـون إلى السـجود، فـأرادوا فلم يستطيعوا، حيل بينهم وبين ذلك عقوبة لتركهم السجود لله في الدنيا، ﴿ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ ﴾ (القلم: ٤٣)، في الدنيا ﴿ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ (القلم: ٤٣).

الصلاة صاحبها في ظل العرش يوم القيامة:

قال الصادق المصدوق ﷺ: **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»**، وفيه: **«ورجل قلبه معلق بالمسجد، إذا خرج منه حتى يعود إليه»** (متفق عليه).

ومقصوده ﷺ: تردده إليه فـي جميع أوقات الصلاة، فلا يصلي صـلاة إلا في المسجـد، ولا يخرج منه إلا وهو

ينتظر أخرى ليعود فيصليها فيه، فهو ملازم للمسجد بقلبه، ولو كان بدنه خارجًا منه.

الصلاة في بيوت الله من سنن الهدى:

فقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «علمنا سنن الهدى: وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه» (رواه مسلم).

وعنه رضي الله عنه قال: «من سرَّه أن يلقي الله غدًا مسلمًا، فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس، حيث ينادى بهن، فإنها من سنن الهدى، وأن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، ولعمري لو أن كلكم صلى في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد رأيت الرجل يهادي بين الرجلين حتى يدخل في الصف» (صحيح)، (كانوا يَشْكُّون فيمن يتخلف عن الصلاة).

فضل الصلاة أنها منحة ربانية:

فقد تميزت الصلاة على ما عداها من الفرائض بخصائص لا تحصى، فقد تولى الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إيجابها بنفسه تعظيمًا لشأنها، وتنويهًا بقدرها، وأخذها المصطفى ﷺ عن الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مباشرة بدون واسطة ليلة الإسراء، فكانت المنحة الربانية التي منحها الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ نبيه وخليله ﷺ ليلة الوصول الأعظم، مكافأة له على ما قام به من العبودية الصادقة لربه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بما لم يسبقه إليه سابق، ولن يلحقه لاحق.

إقامة الصلاة إغاظة للشيطان:

المقيم للصلاة إذا نظر إلى الشيطان، ولاحظ كم يغيظه لراغمه بالمحافظة عليها، وإقامة حدودها.

إن الشيطان شديد الحرص على صد الناس عن الصلاة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ

فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩١)، وكم يغتاظ الشيطان إذا رأى العبد يسجد بين يدي الله، فيحقد عليه، ويعلن له العداوة.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويلي، أُمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة، وأُمرت بالسجود، فأبيت فلي النار» (مسلم).

وإذا لم يستطع الشيطان أن يصد الناس عن الصلاة، فإنه يجتهد في إفسادها، وتقليل أجرها.

فإذا دخل العبد في صلاته أجلب عليه الشيطان يوسوس له، ويشغله عن طاعة الله، ويذكره بأمور الدنيا، فقد قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة أحال (ذهب) له ضراط، حتى لا يسمع صوته، فإذا سكت رجع فوسوس، فإذا سمع الإقامة، ذهب حتى لا يسمع صوته، فإذا سكت رجع فوسوس» (رواه مسلم).

وفي رواية : «فإذا قضى التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول له: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر من قبل حتى يظل الرجل ما يدري كم صلى» (متفق عليه) .

من عظم قدر الصلاة .. أول ما يحاسب عليه العبد:

إذا صلحت الصـــلاة، صلح ســائر عـــمل المرء، قــال ﷺ : «إن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله» (صحيح) .

الصلاة كفارة للسيئات:

قال ﷺ : «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارات لما بينهن، ما اجتنبت الكبائر» (رواه مسلم) .

وقال : «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟، قالوا: لا يبقي من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا» (متفق عليه) .

فضل المشي إلى المساجد:

قال ﷺ : **«من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له في الجنة نزلا** (أي: منزلاً، وهو ما يهيأ للضيف من كرامة عند قدومه) **كلما غداً أو راح»** (متفق عليه).

وقال ﷺ : **«من تطهر في بيته، ثم مضى إلى بيت من بيوت الله، ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطواته، إحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة»** (رواه مسلم).

وقال ﷺ : **«بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»** (أبو داود).

وقال ﷺ : **«ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟»**، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **سباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»** (مسلم).

وقال ﷺ : **«إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد، فاشهدوا له بالإيمان، قال - عَزَّ وَجَل -: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾** (التوبة: ١٨)»، (الترمذي).

فضل إنتظار الصلاة:

قال ﷺ: «لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة» (متفق عليه).

وقال ﷺ: «الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه» (البخاري).

فضل صلاة الجماعة:

قال ﷺ: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة» (متفق عليه).

- «ولم يرخص لعبد الله بن أم مكتوم أن يصلي في بيته».

(رواه مسلم)

وقال: «والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال، فأحرق عليهم بيوتهم» (متفق عليه).

وقال ﷺ: «**من صلى العشاء في جماعة، فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة، فكأنما صلى الليل كله**» (مسلم).

وقال ﷺ: «**من صلى البردين دخل الجنة**» (متفق عليه)، البردان: الصبح والعصر، وقال ﷺ: «**لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها**» (مسلم)، يعني: الفجر والعصر.

عدم حضور الجماعة معصية لله ورسوله:

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: من سمع النداء بالصلاة ثم لم يجب ولم يأت المسجد ويصلي، فلا صلاة له، وقد عصى الله ورسوله.

فضل المشي إلى المساجد:

عن جابر قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينقلبوا قرب المسجد، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال لهم: «**بلغني أنكم تريدون أن تنقلبوا قرب المسجد؟!**»، قالوا: نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك، فقال: «**بني سلمة دياركم تُكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم**» (رواه مسلم).

وعن أبي بن كعب ﷺ قال: كان رجل من الأنصار لا أعلم أحدًا أبعد من المسجد منه، وكانت لا تخطئه صلاة (أي: لا تفوته)، فقيل له: لو اشتريت حمارا تركبه في الظلماء وفي الرمضاء (في الليل والحر)، قال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يُكتب لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي.

فقال رسول الله ﷺ: **«قد جمع الله لك ذلك كله»**.

(رواه مسلم)

* وقال رسول الله ﷺ: **«إن أعظم أجرًا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجر من الذي يصلي ثم ينام»** (متفق عليه).

فيما يصح ولا يصح في الوضوء والصلاة

قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (البقرة: ٤٣)، وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (المؤمنون: ١-٢).

وبعد ما عرفنا ثواب وفضل مـن يقيم الصلاة في أوقاتها وفي بيوت الله تعالى جماعة مع المسلمين، فعلينا أن نعرف أن هذه الفضـيلة لا يستحـقها إلا من أقام الصـلاة، وأتمها وأحسن آدائها كمـا أمر، وهذا صريح في حديث أبي أيوب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من توضأ كما أمر، وصلى كما أمر، غُفر ما قدم من عمل»** (رواه النسائي).

فتصـحيح أمر الصـلاة وإقامتها كـما أمرنا الله سبـحانه وتعالى، وعلى إقامة رسول الله ﷺ الذي حث المسلمين على الصلاة، كما كان لا يصليها ﷺ حيث قال: **«صلوا كما رأيتموني أصلي»** (رواه البخاري).

فهذه نصـوص صحيحة صريحـة في أن الصلاة الموعود صاحـبها بفضل الله العظيم، وهـي تلك التي يتحقق فيـها قوله تعالى: ﴿ **أَقِيمُوا الصَّلَاةَ** ﴾.

لذلك نذكر بعض الأمـور التي يتساهل بهـا البعض ظنا منهم أنها لا حرج فيها، ولكن قد تنقص من الثواب، وبل تبطل العمل.

أولا ـ الطهارة:

١ ـ عدم وضع الكريمات والمناكير أثناء الوضوء:

وضع المناكير قبل الوضوء يمنع وصول الماء إلى ما تحته، وبذلك لا يصح الوضوء، لأن مادة المناكير تمنع من نفاذ وصول الماء إلى ما تحتها، ولابد أن يصل ماء الوضوء لكل جزء في الأعضاء التي شرع فيها الوضوء، أو لصق الأظافر الموضوعة.

* **ويجوز وضعه بعد الوضوء بشرطين:**

١- أن يكون زينة للزوج أو يطلع عليه المحارم فقط، أما الأجانب . . فلا يجوز.

٢- أن يزول إذا انتقض الوضوء قبل أداء الصلاة.

٢ ـ المسح على الجبيرة:

إذا كان هناك مرض في عضو من أعضاء الوضوء جاز المسح على العضو دون غسله إذا كان الماء يؤثر على شفائه، ويتم المسح على العضو المربوط بالعصائب ونحوها، ولا يشترط أن يكون الرباط على طهارة.

٣ - عدم الإسراف في الماء:

والاقتصاد في الماء . . حث عليه رسول الله ﷺ: أن رجلاً قال لابن عباس رضي الله عنهما: كم يكفيني من الوضوء؟، قال: «مد»، قال: كم يكفيني للغسل؟، قال: «صاع»، فقال الرجل: لا يكفيني، فقال: «لا أم لك، قد كفى من هو خير منك .. رسول الله ﷺ» (رواه أحمد).

وروي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ: مر بسعد وهو يتوضأ، فقال: «ما هذا السرف يا سعد؟»، فقال: وهل في الماء من سرف؟! قال: «نعم .. وإن كنت على نهر جار» (رواه أحمد وفي سنده ضعف).

فيجب علينا أن نوقف الإسراف والهدر الجاري في الماء، وأن نقتصر على ما اقتصر عليه في الوضوء رسول الله ﷺ من ثلاث مرات، ولا نزيد على ذلك، وحينما سأله أعرابي عن الوضوء، فأراه الوضوء ثلاثًا ثلاثًا، وقال: «هذا الوضوء، فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم» (رواه أبو داود)،

والذي يزيد على هذا .. إمـا لمرض الوسوسـة، أم أخذها عـادة.

٤ ـ مريض سلس البول:

مريض سلس البول .. إما أن يكون متوهمًا بأنه يتساقط منه نقاط البـول بعد التـبول، وبعد الوضـوء وفي صلاته، والتـوهم هذا وسواس من إبليس ـ أعـاذنا الله منه ـ يجب على المبتلى به أن لا يلتفت إليه، وعليـه بعد الاستنجاء أن يرش بعد الماء على ملابسه الداخلية، حتى إذا نظر فيها بعد ذلك يظن أن الماء الموجود، وهو الماء الذي رشه، ولا يقطع صلاته، ولا يلتفت لما يشعر به بعد وضوءه.

أمـا المريض .. بسـقوط بـعض نقاط الـبول بعـد تبـوله واستنجاؤه، أو بعد وضوئه وأثناء صـلاته، فهذا عليه أن يأخذ بأسباب العـلاج الطبية، وأن يحتاط ويضع قطعـة من القماش ونحوها، حـتى يتجنب إصابة مـلابسه بالنجاسة، ثم يتـوضأ ويصلي الفـريضـة ونوافلهـا، ولا يلـتفـت لما ينزل منه، ولا

ينتقض وضوئه بما ينزل منه أثناء الصلاة، ولكنه عليه أن يتوضأ لكل صلاة، ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

٥ ـ ثواب الوضوء:

أن للوضوء ثواب عظيم لو أخلص فيه العبد بين يدي مولاه، وهو ناويًا عاقدًا العزم على الطهور في قلبه ووجدانه وصدره ونفسه من كل الضغائن والرذائل والمآثم كبيرها وصغيرها قبل الطهور الظاهري، وغسل داخله بالتوبة والإنابة والخضوع له قبل غسل أعضائه، كان ذلك لمحو الذنوب والخطايا.

فعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا توضأ العبد المسلم أوالمؤمن فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقيًا من الذنوب**» (رواه مسلم).



ومن حديث عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده، حتى تخرج من تحت أظفاره» (مسلم).

ثياب الرجل والمرأة في الصلاة:

إن العبد في صلاته مأمور بستر عورته، وهي من شروط صحة الصلاة، وعليه أن يتجمل وهو يقف أمام خالقه سبحانه وتعالى، حيث يقول: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف: ٣١).

فالعبد مطالب بأن يلبس لباس يستر عورته أثناء صلاته، وأن لا يكون اللباس ضيقًا بحيث يحدد ويجسم عورة الإنسان، وألا يكون الثوب قصيرًا بحيث إذا ما ركع وسجد تنكشف عورته، فتبطل صلاته.

ومما يؤسف له .. أن بعض الرجال يرتدي الثياب الرقيقة، خصوصًا في أوقات الصيف، فيشف ما تحته، والبعض الآخر يرتدي في بيته أو مصيفه (شورت) يغطي

فقط نصف الفخذ، وهذا لا يجوز، والبعض أيضًا يصلي مشكوف العاتقين، وقد لبس حمالات في صلاته، وهذا ورد النهي عنه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يصلي أحدكم في الثوب الواحد ليس على منكبيه منه شيء».

(رواه البخاري)

فهل يليق بمسلم أن يقف بين يدي مولاه بهذه الثياب، سواء كانت ضيقة أم شفافة، أو شورت أو حمالات، فلابد أن تعرف جيدًا أنك تقف أمام الخالق سبحانه وتعالى، ولو وقفت بين يدي المخلوق على هذه الحالة، لقلت له متأسف وأنت تقف بهذه الصورة، فالله سبحانه وتعالى أحق أن تستحي منه.

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما: أنه كان إذا قام إلى الصلاة لبس أجود ثيابه، فسئل عن ذلك، فقال: إنا الله جميل يحب الجمال، فأتجمل لربي، وهو يقول: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ (الأعراف: ٣١).

إسبال الثياب:

ومن الأمور التي غفلنا عنها، وحذر منها رسول الله ﷺ .. الإسبال سواء في الصلاة وغيرها، فقال: **«ما أسفل الكعبين من الإزار فهو في النار»** (رواه البخاري).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ: **«نهي عن السدل في الصلاة»** (رواه أبو داود).

وللأسف أصبح من الموضة الآن .. قص جانب بنطلون من القدم حتى يسدل إلى الأرض مخالفة لهدى رسول الله ﷺ.

ثياب المرأة في الصلاة:

والمرأة مطالبة بتغطية جسدها في الصلاة وغيرها، صيانة لها، وثياب المرأة في الصلاة فهي مأمورة بستر جميع جسدها ما عدا الوجه والكفين.

فلا يجوز للمرأة أن تصلي في لباس شفاف ولا ضيق، ولا يحدد معالم جسدها، كمن تصلي في بنطلون أو

جيبة، وكشفت الذراعين، وجزء من القدمين والساقين، أو نحرها، كمن تصلي في إيشارب فقط على رأسها .. كل ذلك لا يجوز.

فعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار**» (أصحاب السنن).

والحائض هي التي بلغت سن الحيض، والخمار هو غطاء الرأس.

وعن أم سلمة رضي الله عنها: أنها سألت النبي ﷺ: أتصلي المرأة في درع وخمار بغير إزار؟، قال: «**إذا كان الدرع سائغًا يغطي ظهور قدميها**» (رواه أبو داود)، الدرع: هو القميص.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سُئلت: «في كم تصلي المرأة من الثياب، فقالت للسائل: سل علي بن أبي طالب، ثم ارجع إليَّ فأخبرني، فأتى عليًّا فسأله، فقال: في الخمار والدرع السابغ، فرجع إلى عائشة فأخبرها، فقالت: صدق».

وكانت النساء منذ زمن ليس ببعيد وخاصة كبار السن، يجعلن ملابس خاصة للصلاة يسمونها (جلابية وطرحة الصلاة)، ومن هنا نقول للرجال والنساء: أن يتقوا الله في ملابس صلاتهم، وأن يستر المسلم عورته، والأولى أن يتجمل ويتزين لملاقاة الله سبحانه وتعالى، كما أن أحدنا يتزين ويتجمل قبل خروجه من بيته، فالأولى عند الوقوف أمام الواحد الأحد سبحانه وتعالى، كما قال ﷺ: **«فإن الله أحق أن يتزين له»** (رواه البيهقي).

هذه الأمور لابد من فعلها استجابة لله ولرسوله، كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** ﴾ (الأنفال: ٢٤).

آداب الذهاب إلى المسجد

في سكينة ووقار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا سمعتم الإقامة، فامشوا إلى الصلاة، وعليكم بالسكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا»** (رواه البخاري).

تسوية الصفوف:

أمرنا رسول الله ﷺ بتسوية الصفوف، وعدم وجود فرجات بين المصلين.

فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: **«ألا تصُفُّون كما تَصُفُّ الملائكة عند ربها»**، فقلنا: يا رسول الله.. وكيف تصف الملائكة عند ربها؟، قال: **«يُتِمون الصفوف الأول، ويتراصون في الصف»** (رواه مسلم).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«سووا صفوفكم، فإن تسوية الصف من تمام الصلاة»** (متفق عليه).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لتسون صفوفكم، أو ليخالِفَن الله بين وجوهكم»** (متفق عليه).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: **«أقيموا الصفوف، وحاذوا بين المناكب، وسُدوا الخلل** (الفرج

بين الصفوف)، ولينوا بأيدي إخوانكم، ولا تذروا فرجات للشيطان، ومن وصل صفًا وصله الله، ومن قطع صفًا قطعه الله» (رواه أبو داود).

وعن أنس ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «رصوا صفوفكم، وقاربوا بينها، وحاذوا بالأعناق، فوالذي نفسي بيده إني لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنها الحذف» (رواه أبو داود)، والحذف: هي غنم سود صغار تكون باليمن.

فضل الصف الأول:

عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا» (متفق عليه).

وعنه أيضًا: قال رسول الله ﷺ: «خير صفوف الرجالِ أولُها وشرُها آخرُها، وخيرُ صفوفِ النساءِ آخرُها، وشرُها أولُها».

(رواه مسلم)

الوقوف بين يدي الله:

١ - أهمية الخشوع في الصلاة: أن العبد المؤمن الذي يتذكر لحظة وقوفه بين يدي مولاه رافعًا يده الله أكبر، فليعلم أنه قد رمى بكل شواغل الدنيا، وراء ظهره، وأنه مقبل على الله بخشوع وتضرع وإنابة، فإن القرآن الكريم قد شرط الفلاح والنجاح بالخشوع في الصلاة، قال تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ (المؤمنون: ١-٢)، وقال سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** ﴾ (المؤمنون: ٩).

فصلاة بلا خشوع ولا حضور، كبدن ميت لا روح فيه، أفلا يستحي أحدنا وهو يقف بين يدي مولاه بجسده دون روحه، فتكون صلاة لا ثوب لها، وإن اسقطت عنه الفريضة في أحكام الدنيا، ولا يثبه عليها، فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها كما في السنن، ومسند الإمام أحمد وغيره: عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن العبد ليصلي**

الصلاة، وما كتب له إلا نصفها إلا ثلثها إلا ربعها إلا خمسها، حتى بلغ عشرها» (رواه أحمد).

النهي عن الالتفات في الصلاة:

النهي عن الالتـفات في الصلاة أمـر عظيم، ومن عظم هذا النهي أن الله سبحانه وتعالى أمر به يحيى عليه السلام أن يبلغ قومه بعدم الالتفات في الصلاة.

فمن حديث الحارث الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن الله سبحانه وتعالى أمر يحيى بن زكريا عليهم الصلاة والسلام بخمس كلمات أن يعمل بها، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها** ـ ومنها: **ـ وأمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت»** (رواه أحمد).

**** والالتفات في الصلاة قسمان:***

أحدهما ـ التفات القلب عن الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إلى غير الله تعالى.

والثاني ـ التفات البصر، وكلاهما منهي عنه، ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره أعرض الله تعالى عنه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة، فقال: «**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**» (رواه البخاري).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**إياك والالتفات في الصلاة، فإن الالتفات في الصلاة هلكة، فإن كان لابد ففي التطوع لا في الفريضة**» (رواه الترمذي).

ولا يزال الله سبحانه وتعالى مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره أعرض الله تعالى عنه، وفي أثر يقول: «**إلى خير مني .. إلى خير مني**».

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال الله مقبلاً على العبد في صلاته ما لم يلتفت، فإذا صرف وجهه انصرف عنه**» (أخرجه أحمد).

فهـذا المصلي الذي كثيـر ما يلتفت بقلبـه وبصره، لا يسـتوي، والحـاضـر القلب المقـبل على الله تعـالى في صـلاته الذي قد أشـعر قلـبه عظمـة من هو واقف بين يديه، فامتـلأ قلبه من هيبته، وذلت عنقـه له، واستحى من ربه تعالى أن يقبل على غـيره، أو يلتفت عنه، وبين صلاتيهما كما قال حسان بن عطية: إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحـدة، وإن ما بينهما في الفـضل كما بين السماء والأرض، وذلك أن أحدهما مقبل على الله - عَزَّ وَجَلَّ -، والآخر ساه غافل.

حيث يقول ﷺ: **«وجُعلت قرة عيني في الصلاة»**.

(رواه النسائي)



الوصية السادسة

قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾

(لقمان:١٧)

وتنتقل الوصية إلى دعوة الناس، وإصلاح أحوالهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأسلوب لين سهل.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهمة الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد.

وإذا غاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين العباد بسبب المداهنة والخوف من المخلوق، واسترسل الناس في

اتباع الهوى والشهوات، عمهم الله بالعذاب ولا يغير حالهم إذا هم غيروا ما في أنفسهم من هذه السلبيات المهلكات.

قال تعالى: ﴿ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾. (الرعد: ١١)

وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فرض الإسلام حراسة الرأي العام الذي يتمثل في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر على مجموع الأمة على اختلاف أصنافها وأنواعها دون أن يكون بينها تفريق أو تمييز.

فرضها على الحكام والعلماء .. على الخاصة والعامة .. على الرجال والنساء .. على الشيب والشباب .. على الصغار والكبار .. على الموظفين والعمال .. على الكل على حد سواء، واعتبر هذه المهمة وظيفة اجتماعية لا يعفى فيها أي إنسان، كل على حسب حاله، وحسب طاقته، وحسب إيمانه، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (آل عمران: ١١٠)،

وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس.

وقال سبحانه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، لقد مدح الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، وأنه سبحانه سيرحمهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٧١).

المجتمع والسفينة:

وقد ضرب رسول الله ﷺ رقابة المجتمع للفرد، ورقابة الفرد للمجتمع، ليؤكد لكل مسلم وظيفته الاجتماعية في الرقابة والنقد، والأخذ على يد الظالم، حتى تسلم للأمة عقيدتها وأخلاقها، وتكون في مأمن من عبث العابثين.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا (اقترعوا) على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا، ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**» (البخاري).

مبايعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على قول الحق:

والنبي صلى الله عليه وسلم حين كان يأخذ البيعة من أصحابه، ومن كل من ينتمي إلى جماعة المسلمين، كان صلى الله عليه وسلم يعاهدهم على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أن يقولوا الحق أينما كانوا، ولا يخافون في الله لومة لائم.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا (الإيثار)، وألا ننازع الأمر أهله

إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان، وعلى أن تقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.

(رواه البخاري ومسلم)

إنكار المنكر على قدر الاستطاعة:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**.

(رواه مسلم)

دل هذا الحديث على أن إنكار المنكر يجب بحسب القدرة عليه، أما إنكار القلب فلابد منه، فإذا لم ينكر القلب دل على ذهاب الإيمان منه.

سمع ابن مسعود ﷺ رجلاً يقول: هلك من لم يأمر بالمعروف، ولم ينه عن المنكر، فقال ابن مسعود ﷺ:

«هلك من لم يعرف بقلبه المعـروف والمنكر، فالإنكار باليد واللسان يكون بحسب الطاقة».

أما معرفة المعـروف والمنكر بالقلب ففرض لا يسقط عن أحد، فمن لم يعرفه هلك.

ويقول عـبد الله بن مـسعود رضي الله عنه: «يـوشك من عاش منكم أن يرى منكرًا، لا يـستطيع له غـيـر أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره».

عقوبة ومضار إهمال الأمر بالمعروف .. والنهي عن المنكر:

أخبـر سبحـانه وتعالى عن سـبب نزول اللعنة على من كـفر من بني إسـرائيل، بسـبب تركـهم الأمر بالمعـروف، والنهي عن المنكر، قـال تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ (المائدة: ٧٨-٧٩).

وعن جابر بن مسعود ﵁: عن النبي ﷺ قال: «**إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقي الرجل، فيقول: يا هذا .. اتق الله، ودع ما تصنع فإنه لا يحل لم، ثم يلقاه من الغد، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله، وشريبه، وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال:** ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾»، ثم قال: «**كلا والله لتأمرون بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يدي الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم يلعنكم كما لعنهم**» (أبو داود والترمذي).

قوله: «**تأطروهم**»: **تعطفوهم**، و«**لتقصرنه**» أي: لتحبسنه.

عن أم المؤمنين زينب بنت جحش ﵂: أن النبي ﷺ دخل عليها فزعًا يقول: «**لا إله إلا الله .. ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**»، وحلق

بأصبعيه الإبهام والتي تليها، فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟، قال: «**نعم إذا كثر الخبث**» (متفق عليه).

عدم إجابة الدعوة لمن ترك الأمر بالمعروف .. والنهي عن المنكر:

عن حذيفة ﷺ: عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**».

(رواه الترمذي)

منكرات كثيرة ألفها الناس:

كثير من المنكرات ألفها الناس حتى صارت عادة بينهم لاينكرون بعضهم على بعض، حتى ظن الناس أن ذلك ليس بحرام.

فمثال ذلك . . ينظر الرجل إلى ابنته وهي متبرجة، تلبس الضيق من الثياب، واضعة على جسدها أنواع الزينة والعطور ولا ينكر عليها، ونرى الشباب في قوته وحيويته وهو عاص

لله، ونسمع أصوات الأغاني التي تخرج علينا من البيوت وغيرها، ولا ينكرها أحد، ونسمع عن السب واللعن للدين وللأشخاص ولا ينكرها أحد، ولبس الرجال الذهب والحرير ولم ينكر عليهم أحد، وظهر في مجتمعنا التبرج والسفور، وأصبح مألوفًا لدى الناس، ولم ينكره أحد.

الرسول ﷺ القدوة

موقفه من لابس الذهب:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: «رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل، فنزعه فطرحه، وقال: «**يعمد احدكم إلى جمرة من نار، فيجعلها في يده**»، فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله لا آخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله ﷺ» (مسلم).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل النبي ﷺ فعرفت في وجهه أنه حضره شيء فتوضأ وما كلم أحدًا، فلُصقت بالحجرة استمع ما يقول، فقعد على المنبر، فحمد الله،

وأثنى عليه، وقال: «**يا أيها الناس .. إن الله يقول لكم: مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم، وتسألوني فلا أعطكم وتستنصروني فلا انصركم، فما زاد عليهم حتى نزل**» (رواه ابن ماجه وابن حبان).

عن أبي بكرالصديق ﷺ قال: يا أيها الناس إنكم لتقرؤن هذه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾ (المائدة:١٥)، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يده، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**» (رواه أبو داود والترمذي).

إنكار المنكر وعدم خشية الناس:

قد يرى الإنسان المنكر وهو يستطيع أن ينكره بلسانه، ولكن خشية من الناس وهيبة منهم لم ينكر ذلك، ومن فعل ذلك كأنه يحقر نفسه، كما وصفه بذلك رسول الله ﷺ، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحقرن أحدكم نفسه**»، قالوا: يا رسول الله . .

كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: «يرى أن الله فيه مقالاً، ثم لا يقول فيه، فيقول الله - عَزَّ وَجَلَّ - يوم القيامة: ما منعك أن تقول فيَّ كذا وكذا، فيقول: خشية الناس، فيقول: فإياي كنت أحق أن تخشى» (رواه ابن ماجه).

وأيضًا يقول رسول ﷺ: «إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول: ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره، فإذا لقن الله عبداً حجته، قال: يا رب رجوتك وفرقت (خشيت) من الناس» (ابن ماجه).

وأيضًا عن أبي سعيد: أن رسول الله ﷺ قال في خطبة: «ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه» (الترمذي وابن ماجه)، وبكى أبو سعيد وقال: قد والله رأينا أشياء فهبنا.

لابد من بذل النصيحة:

عن أبي رقية تميم الداري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «الدين نصيحة»، قلنا: لمن؟، قال: «لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (رواه مسلم).

وهكذا كان الصحابة الكرام يبايعون رسول الله ﷺ على بذل النصيحة، فعن جرير بن عبد الله ﷺ قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم» (متفق عليه).

الأصول المتبعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصول متبعة، وشروط لازمة، فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يأخذ بها، ويسير على هذه القواعد حتى إذا ما قام بمهمة الدعوة إلى الله، وأمر غيره بالمعروف، ونهاه عن المنكر، كانت الاستجابة له أكثر، والتأثير به أقوى..

١ - أن يكون فعله مطابقًا لقوله:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف: ٣).

وقال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٤٤).

وعن أسامة رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يؤتي بالرجل يوم القيامة، فيلقي في النار، فيقولون: يا فلان .. مالك؟، الم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟، فيقول: بلى كنت آمر بالمعروف ولا آيته، وانهي عن المنكر وآتيه**» (البخاري ومسلم).

٢ - *أن يكون عالمًا بالمعروف والمنكر:*

لابد من العلم بالمعروف والمنكر، والتمييز بينهما، ولابد من العلم بحال المأمور، وحال المنهي، حتى لا يفسد أكثر مما يصلح.

فإذا علم العبد أن إنكار منكر معين يترتب عليه منكر أكبر منه، فإنه يحرم إنكاره، وإذا ترتب عليه إزالة معروف أكثر منه يحرم الإنكار كذلك.

كما ترك النبي ﷺ عبد الله بن أبي بن سلول وأمثاله من أئمة النفاق والفجور لما لهم من أعوان، فإزالة منكره بنوع من عقابه مستلزم إزالة معروف أكثر من ذلك بغضب قومه وحميتهم، وبنفور الناس إذا سمعوا أن رسول الله ﷺ يقتل أصحابه.

فينبغي قياس المصالح والمفاسد المترتبة قبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣ - التدرج في إنكار المنكر:

فعلى المنكِرِ أن يتدرج في إزالة المنكر على مراحل، فليبدأ أولاً بالتعرف على المنكر من غير تجسس، ثم تعريف الفاعل للمنكر بأنه منكر، ثم بالنهي بالوعظ والإرشاد والنصح والتخويف بالله تعالى، والمبدأ المتبع في تغيير المنكر، كما ذكر الفقهاء: أنه لا يجوز أن يلجأ إلى الأشد إذا كان ينفع الأخف، فإذا وصل المنكر إلى التغيير مثلاً بالملاطفة والنصح، فلا يجوز له أن يلجأ إلى التغيير باليد وهكذا.

فعلى الإنسان المنكِرِ أن يكون حليمًا عالمًا بالأصول المتبعة في إنكار المنكر، حتى لا يقع في عثرات قد تؤدي إلى نتائج لا تحمد عقباها، ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾ (البقرة: ٢٦٩).

٤ ـ أن يكون لطيفًا رفيقًا:

ومن الصفات الكريمة التي يجب أن يتحلى بها الآمر بالمعروف هي صفة اللطف والرفق والين هي من أميز ما يجب أن يظهر به الداعية في طريق الإصلاح.

قال ﷺ: **«من أمر بمعروف فليكن بمعروف»** (رواه البيهقي).

قال ﷺ: **«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه»** (مسلم).

وقال ﷺ: **«إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»** (مسلم).

الرسول القدوة:

أما قدوته ﷺ في اللين والرفق كثيرة، نذكر منها:

* بال أعرابي في المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي ﷺ: **«دعوه، وأريقوا على بوله سجلاً (دلوًا) من ماء، فإنما بعثتم مُيسرين، ولم تبعثوا معسرين»** (البخاري).

* أن غلامًا شابًا أتى النبي ﷺ ، فقال: يا نبي الله أتأذن لي في الزنى، فصاح الناس به، فقال رسول الله ﷺ : **«قربوه .. ادن»**، فدنا حتى جلس بين يديه، فقال ﷺ : **«اتحبه لأمك؟»**، قال: لا . . جعلني الله فداك، قال: **«كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم .. اتحبه لابنتك؟»**، قال: لا . . جعلني الله فداك، قال: **«فكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم»**، وذكر الخالة والعمة، ثم وضع الرسول ﷺ يده على صدره، وقال: **«اللهم طهر قلبه، واغفر ذنبه، وحصن فرجه»**، فلم يكن شيء أبغض إليه من الزنى (رواه أحمد).

٥ ـ أن يكون صابرًا على الأذى:

ومن البديهي أن يتعرض الناقد والآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر لأصناف الأذى، وأنواع الألم لما يلقاه من تعنت المستكبرين، وحماقة الجاهلين، واستهزاء الساخرين، وهذا ـ لاشك ـ سنة الله في الأنبياء والدعاة والصالحين في كل زمان ومكان.

الوصية السابعة

قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (لقمان:١٧).

وتمضي سياق هذه الوصية بعدما وصاه بآداء الصلاة، ودعوة الناس وإصلاح أحوالهم، ثم أخبره بأن يتسلح بسلاح الصبر على ما يصيب الداعية إلى الله، من التواء النفوس وعنادها، وانحراف القلوب وإعراضها.

فيبتلى الإنسان في حياته، ويتعرض للاختبار من قبل الحق سبحانه وتعالى، فهل يصمد أمام هذا الابتلاء، ويصبر على ما أصابهم، فيحصد الخيرات الكثيرة من جراء هذا الصبر، أم لا يستطيع الصبر، وإذا لم يستطع . . فماذا عساه أن يفعل؟، هل يستطيع أن يخرج من ملكوت الله، أم يصبر وينال الثواب العظيم.

قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٥-١٥٧).

فإن الله سبحانه وتعالى جعل الصبر جوادًا لا يكبو، وصارمًا لا ينبو، وجندًا غالبًا لا يُهزم، وحصنًا حصينًا لا يهدم، فهو والنصر إخوان شقيقان، فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، واليسر مع العسر، وقد مدح الله - عَزَّ وَجَلَّ - في كتابه الصابرين، وأخبر سبحانه:

أنه يوفيهم أجرهم بغير حساب، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر: ١٠).

قال سليمان بن القاسم: «كل عمل يعرف ثوابه إلا الصبر كالماء المنهمر».

وأخبر سبحانه: أنه معهم بهدايته ونصره العزيز، وفتحه المبين، فقال تعالى: ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٤٦)،

فظفر الصابرون بهـذه المعية بخيري الدنيـا والآخرة، وفازوا بها بنعمه الباطنة والظاهرة.

وجعل سبحانه الإمـامة في الدين منوطة الصبر واليقين، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة: ٢٤)، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

وعلق سبـحانه الفلاح بالصبـر والتقوى، فقـال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ٢٠٠).

وأخبـر سبحـانه عن محبـته لأهل الصـبر، وفي ذلك أعظم ترغـيب للراغبين، فـقـال تعـالى: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٦).

وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار .. لا يحظى بذلك إلا الصابرون، فقـال تعالى: ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (المؤمنون: ١١١).

وبشر الصابرين بثلاثة أشياء كل منها خير مما عليه أهل الدنيا يتحاسدون، فقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾.

(البقرة: ١٥٥-١٥٧)

فقد جمع الله لهم هذه الثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم، وهي الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم وهدايته إياهم.

قال بعض السلف: وقد عُزي علي مصيبة نالته، فقال: مالي لا أصبر .. وقد وعدني الله على الصبر ثلاث خصال، كل خصلة منها خير من الدنيا وما عليها، وتلا قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ الآية.

تسليم الملائكة: يخبر سبحانه أن ملائكته تسلم عليهم في الجنة بصبرهم، كما قال تعالى: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (الرعد: ٢٣).

جعله الله عونًا: أنه سبحانه جعل الصبر عونًا وعدة، وأمر بالاستعانة به مع الصلاة، فقال تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ ﴾ (البقرة: ٤٥).

يوسف ﷺ: أخبر عنه سبحانه وتعالى أن صبره وتقواه أوصلاه إلى محل العز والتمكين، فقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف: ٩٠).

ثنائه على أيوب ﷺ: أنه أثنى على عبده أيوب ﷺ بأحسن الثناء على صبره، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (ص: ٤٤).

الصبر من عزم الأمور: أنه سبحانه جعل الصبر على المصائب من عزم الأمور، أي: مما يعزم من الأمور التي إنما يعزم على أجلها وشرفها.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ (الشورى: ٤٣)، وقال تعالى حاكيًا عن لقمان وابنه: ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ

الأُمورِ﴾ (لقمان: ١٧)، وقال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾.
(آل عمران: ١٨٦)

الصبر عند الصدمة الأولى:

ففي (الصحيحين): أن رسول الله ﷺ أتي على امرأة تبكي على صبي لها، فقال لها: «اتقي الله واصبري»، فقالت: وما تبالي بمصيبتي، فلما ذهب قيل لها: إنه رسول الله ﷺ، فأخذها مثل الموت، فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين، فقالت: يا رسول الله.. لم أعرفك، فقال: «إنما الصبر عند أول صدمة»، وفي لفظ: «عند الصدمة الأولى» (الشيخين).

وهذه المرأة لما علمت أن جزعها لا يجدي عليها شيئًا جاءت تعتذر إلى رسول الله ﷺ كأنها تقول له قد صبرت، فأخبرها أن الصبر إنما هو عند الصدمة الأولى.

الصبـر عند فقد الولد: عن أبي موسى الأشـعري رضي الله عنه قـال: قال رسـول الله ﷺ: **«إذا مـات ولد العبـد قال الله لملائكته؟، قبضتم ولد عبدي؟، فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟، فيقولون: نعم، فيقول:ماذا قال عبدي؟، فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة، وسموه بيت الحمد»** (أحمد).

وفي (صحيح البخاري) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ما لعبدي المؤمن جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا، ثم احتسبه إلا الجنة»**.

مثال لصبر امرأة فقدت ولدها:

عن أنس رضي الله عنه قال: «كان ابن لأبي طلحة رضي الله عنه يشتكي (مريض)، فخرج أبو طلحة، فـقبض الصبي (مات)، فلما رجع أبو طلحـة، قـال: ما فـعل ابني؟، قـالت: أم سُليم وهي أم الصبي، هو أسكن مـا كان، فقربت إليـه العشاء، فتـعشى وأكل، ثم أصـاب منها، فـلما فرغ قـالت: واروا

الصبي، فلما أصبح أبو طلحة بعدما غضب، وقال: تركتيني حتى تلتخط، أي: بالجنابة، فأتى رسول الله ﷺ، فأخبره، فقال: «أعرستم الليلة؟»، قال: نعم، قال: «اللهم بارك لهما»، فولدت غلامًا، فقال لي أبو طلحة: أحمله حتى تأتي به النبي ﷺ، وبعث به بتمرات، فقال: «أمعه شيء؟»، قال: «نعم .. تمرات»، فأخذها النبي ﷺ فمضغها، ثم أخذها من فيه، فجعلها في فيِّ الصبي، ثم حنكه وسماه عبد الله» (متفق عليه).

وفي رواية للبخاري: قال ابن عيينة: فقال رجل من الأنصار: فرأيت تسعة أولاد، كلهم قد قرؤوا القرآن، يعني من أولاد عبد الله المولود.

الصبر على المرض:

عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟، قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله ..

إني أصـرع وإني أتكشف، فـادع الله لي، قـال: «إن شئت صبـرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك»، فقالت: أصبـر، فقالت: إني أتكشف.. فـادع الله ألا أتكشف فدعا لها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من مصيبة تصيب المسلم، إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها» (الصحيحين)، وقال: «ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه» (الصحيحين).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «ما أعطى أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر» (الصحيحين).

وعن أبي يحيى صيهب بن سنان رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له» (مسلم).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يصب منه**» (البخاري).

علي بن أبي طالب ﷺ: قال: «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بار الجسم، ثم رفع صوته، فقال: ألا إنه لا إيمان من لا صبر له».

وقال الحسن: «الصبر كنز من كنوز الخير، لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده».

وقال عمر بن عبد العزيز: «ما أنعم الله على عبد نعمة، فانتزعها منه، فعاوضه مكانها الصبر، إلا كان ما عوضه خيرًا مما انتزعه».

الصبر على فقد البصر:

عن أنس ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ثم صبر، عوضته عنهما الجنة**» (رواه البخاري حديث قدسي). (حبيبتيه: أي: عينيه).

وحديث آخر: «**يقول الله - عَزَّ وَجَلَّ - من اذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب، لم أرض له ثوابًا دون الجنة**» (الترمذي).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله، إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها»**، قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟، أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسوله، فأرسل إليَّ رسول الله ﷺ. ونالت أم سلمة رضي الله عنها شرف نكاح أكرم الخلق على الله ﷺ.

حال الأنبياء والمرسلين:

وقص الله لنا عن المرسلين، وحكى عنهم قولهم وهم يتحملون الأذى: ﴿ **وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ (إبراهيم: ١٢).

ولذلك كان صبر يوسف الصديق عليه السلام عن مطاوعة امرأة العزيز، وصبره على ما ناله في ذلك من الحبس والمكروه أعظم من صبره على ما ناله من إخوته لما ألقوه في الجب، وفرقوا بينه وبين أبيه، وباعوه بيع العبد، ومن

الصبـر الثاني . . إنشـاء الله سبحـانه له ما أنشـأه من العز والرفعة، والملك والتمكين في الأرض.

وإبراهيم عليه السلام ، والكليم، وصبـر نوح، وصبـر المسيح، وصبر خاتم الأنبياء وسـيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم ، كان صبرًا على الدعوة إلى الله، ومـجاهدة أعداء الله، ولهذا سـماهم الله أولي العزم، وأمر رسـوله أن يصبر صبرهم، فـقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

والمقصـود أنه سبحانه أمـر رسوله أن يصبر صـبر أولي العزم من الذين صبـروا لحكمه اختيارًا وهذا أكـمل الصبر، ولهذا دارت قـصة الشـفاعة يوم القـيامة عـلى هؤلاء حتى ردوها إلى أفضلهم وخـيرهم وأصـبرهم لحكم الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

صبر النبي صلى الله عليه وسلم:

في (الصـحيـح) عن أسامـة بن زيد قـال: أرسلت ابنة النبي صلى الله عليه وسلم : أن ابنًا لي احـتضـر فائتنا، فـأرسل يقريـها

السلام، ويقول: «إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب»، فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت ورجال، فرفع الصبي إلى رسول الله ﷺ، فأقعده في حجره ونفسُهُ تقعقع، ففاضت عين رسول الله ﷺ، فقال سعد: ما هذا؟، قال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب من يشاء من عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء».

رسول الله القدوة:

فهذا رسول الله ﷺ يضرب أروع الأمثلة في الصبر على البلاء والجوع في سبيل الله، وإعلاء لكلمته، فهؤلاء قومه تفننوا في إيذائه، فكذبوه وآذوه ورموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون.

أخرج البخاري: عن عروة ﷺ قال: سألت ابن العاص ﷺ، فقلت: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ، فقال: بينما رسول الله ﷺ يصلي

في حجر الكعبة، إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه على عنقه خنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر ﵁، حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ، وهو يقول: **«اتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله»**.

فهؤلاء قومه .. لم يراعوا فيه حق قرابة وتخطوا حدود الإنسانية، فبينما النبي ﷺ يصلي في المسجد وحوله ناس من قريش، فلما أطال السجود، قال أبو جهل: أيكم يأتي جذور فلان، فيأتينا بفرثها (أوساخها)، فنضعه على محمد وهو ساجد، فانطلق أشقاهم، وهو عقبة بن أبي معيط، فأتي به فألقاه على كتفه ﷺ وهو ساجد.

فيقول عبد الله بن مسعود ﵁ وأنا قائم لا أستطيع أن أتكلم ليس عندي منعة تمنعني من بطش قريش، إذا أقبلت فاطمة بنت النبي ﷺ، فألقت هذه النجاسات من على عاتق رسول الله.

ما عاناه في الطائف:

ولما ذهب رسـول الله ﷺ إلى الطائف داعـيًا إلى الإسلام ويتردد على منازلهم، ولكن دون جدوى، فحرشوا عليه الصبيان والغلمان، وجعلوا يرمونه بالحجارة، وزيد بن حارثة يحـاول الدفاع عن رسول الله ﷺ ، حـتى شجت رأسه وسالت منها الدماء، وأدموا قدما رسول الله ﷺ ، وسالت منها الدماء، هكذا تحـمل رسول الله ﷺ وصبر على ذلك، لذا يقول له رب العزة تبارك وتعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

ويقول عبد الله بن مسـعود رضي الله عنه: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهـه، يقول: «**اللهم اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون**» (متفق عليه).

وفي (الصـحيح): قـال ﷺ : «**أشد بلاء الأنبيـاء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه،**

فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، وما يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض، وليس عليه خطيئة».

صبره على الجوع:

عن عائشة ﵂ كانت تقول لعروة: والله يا ابن أختي، إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في بيت رسول الله ﷺ نار، قلت: يا خالة .. فما كان يعيشكم؟، قالت: الأسودان: التمر والماء.

الحجارة على البطون من الجوع:

ففي غزوة الخندق أشدت الجوع بالصحابة ﵃، وكانوا يربطون الحجارة على بطونهم، وكان رسول الله ﷺ يربط حجرين، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع، أنشد قائلاً شادًا من أزرهم:

اللهم إن العيش عيش الآخرة
فاغفر للأنصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً

على الجهاد ما بقينا أبداً

وقص الله لنا عن المرسلين وحكى عنهم قولهم وهم يتحملون الأذى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم: ١٢)

صبر الكرام وصبر اللئام:

كل أحد لابد أن يصبر على بعض ما يكره، إما اختياراً وإما اضطراراً، فالكريم يصبر اختياراً لعلمه بحسن عاقبة الصبر، وأنه يحمد عليه، ويُذم على الجزع، وأنه إن لم يصبر لم يرد الجزع عليه فائتًا، ولم ينتزع عنه مكروهًا، وأن المقدور لا حيلة في دفعه، فالجزع ضره أقرب من نفعه، فالكريم يصبر في طاعة الرحمن.

قال بعض العقلاء: «العاقل عند نزول المصيبة يفعل ما يفعله الأحمق بعد شهر».

واللئيم .. فإنه يصبر اضطرارًا، فإنه يحول حول ساحة الجزع، فلا يراها تجدي عليه شيئًا فيصبر صبر الموثق للضرب.

فاللئيم .. يصبر في طاعة الشيطان.

فاللئام .. هم أصبر الناس في طاعة أهوائهم وشهواتهم، وأقل الناس في طاعة ربهم، فيصبر على البذل في طاعة الشيطان أتم الصبر، ولا يصبر على البذل في طاعة الله في أيسر شيء.

فاللئيم .. يصبر على تحمل المشاق لهوى نفسه في مرضاة عدوه، ولا يصبر على أدنى المشاق في مرضاة ربه، وهذا أعظم اللؤم، ولا يكون صاحبه كريمًا عند الله، ولا يقوم مع أهل الكرم إذا نودي بهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، ليعلم أهل الجمع من أولى بالكرم اليوم . . أين المتقون؟ . . أين الصابرون؟.

أقسام الصبر:

* **ينقسم الصبر إلى ثلاثة أقسام:**

صبر على الطاعات والأوامر حتى يؤديها: فالطاعات والأوامر يحتاج العبد إلى الصبر عليها، لأن النفس بطبيعتها تميل إلى الكسل والخمول، وتنفر عن كثير من العبودية.

الصلاة .. النفس في طبعها الكسل وإيثار الراحة، وآدائها في موعدها وفي مساجد الله يحتاج إلى صبر ومصابرة.

والزكاة .. فلما في طبع النفس من الشح والبخل .. وكذلك الفرائض.

صبر على المناهي والمخافات حتى لا يقع فيها: فترك المعاصي والشهوات يحتاج إلى صبر ومجاهدة النفس والشيطان، وقطع الصلة المؤدية إلى ذلك.

صبر على الأقدار: التي لا يستطيع الإنسان دفعها عنه، فإن هذا الصبر يأتي به البر والفاجر، والمؤمن والكافر، فلابد لكل أحد من الصبر على القدر اختياراً أو اضطراراً.

وهذه الأنواع الثلاثة هي التي قيل فيها: «لابد للعبد من أمر يفعله، ونهي يجتنبه، وقدر يصبر عليه».

هذا هو الصبر على البلاء، وهو سبب من أسباب النصر والتمكين في الأرض لما سُئل الشافعي - رحمه الله - أيها أفضل الابتلاء أم التمكين؟، قال: لا يمكن حتى يبتلى.

هذا هو الصبر الذي يحبه الله تعالى ويكرم أهله، وهو أن يكون الإنسان مالكًا لنفسه عن الشهوة، فلا يعصي الله تعالى، وأن يكون مالكًا لنفسه عند الغضب.

والتواصي بالصبر كالتواصي بالحق أساس الفلاح والنجاة من الخسران.

وعلى ذلك أقسم الله تعالى بالعصر والزمان الذي فيه من الحوادث ما يشهد لذلك، فقال تعالى: ﴿ **وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾ (سورة العصر).

هذه كانت وصية لقمان لابنه جامعه ووصاه عندما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يتحلى بالصبر، ﴿ **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** ﴾ (لقمان: ١٧).

الوصية الثامنة

قــال تعــالى: ﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾.

(لقمان:١٨)

وتنتقل الوصية هنا إلى أدب الداعية إلى الله، فالدعوة إلى الخير لا تجيز التعالي على الناس، والتطاول عليهم باسم قيادتهم إلى الخير.

والصعر داء يصيب الإبل، فيلوي أعناقها، والأسلوب القرآني في هذه الوصية يختار هذا التعبير للتنفير من الحركة المشابهة للصعر، وهي حركة الكبر والأزورار، وإمالة الخد للناس في تعال واستكبرار.

والمشي في الأرض مرحًا هو المشي في تخايل ونفخة، وقلة مبالاة بالناس، وهي حركة كريهة يمقتها الله، ويمقتها

الخلق، وهي تعبير عن شعور مريض بالذات، يتنفس في مشية الخيلاء، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، فقد مدح الله سبحانه وتعالى وأعدلهم الفوز والفلاح لمن تجنب هذا الخلق الذميم.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص: ٨٣).

فالكبر .. مرض خطير من أمراض القلب، وهو خلق مذموم في العباد يمقته الله سبحانه وتعالى.

والكبر .. ينقسم إلى قسمين، إلى: باطن وظاهر، فالباطن .. هو خُلُق في النفس، والظاهر .. هو أعمال تصدر من الجوارح، وتلك الأعمال أكثر من أن تحصى، وآفته عظيمة، وعاقبته وخيمة، وكيف لا تعظم آفته، وقد قال ﷺ: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر»** (رواه مسلم).

وإنما صار حجابًا دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة،

والكبر وعزة النفس يغلق تلك الأبواب كلها، لأن المتكبر لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، ولا يقدر على التواضع، وهو رأس أخلاق المتقين، ولا يقدر على ترك الحقد، ولا يقدر على ترك الغضب، ولا يقدر على كظم الغيظ، ولا يقدر على ترك الحسد، ولا يقدر على النصح اللطيف، ولا يقدر على قبول النصح، ولا يسلم من الإزراء بالناس ومن اغتيابهم.

وبالجملة . . فما من خُلُق ذميم إلا وصاحب الكبر والعجب مضطر إليه ليحفظ به عزه، وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفًا من أن يفوته عزه، فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه.

شر الكبر:

وشر أنواع الكبر ما يمنع من قبول الحق والانقياد، وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والمستكبرين.

ومنشؤه استحقار الغير، وازدراؤه واستصغاره، وذلك شرح رسول الله ﷺ الكبر بهاتين الآفتين بقوله: «**الكبر بطر الحق، وغمط الناس**».

أي: ازدراؤهم واستحقارهم وهم عباد الله أمثاله أو خير منه، وهذه هي الآفة الأولى، وبطر الحق هو رده وهي الآفة الثانية.

الكبر منازعة لله تعالى:

أن الكبر والعزة والعظمة لا تليق إلا بالملك القادر، فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء، فمن أين يليق بحاله الكبر، واستعظام النفس واستحقار الغير؟.

فمهما تكبر العبد .. فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله، وإذا اتصف بهذه الصفة فما أشد استجراؤه على مولاه، فالخلق كلهم عباد الله، وله العظمة والكبرياء، فمن تكبر على عبد من عباد الله، فقد نازع الله في حقه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله - عَزَّ وَجَلَّ -: العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن ينازعني عذبته»** (رواه مسلم).

وعن أبي هريرة أيضًا: يقول رسول الله ﷺ: **«قال الله - عَزَّ وَجَلَّ -: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار»** (رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان).

آيات التحذير من الكبر:

يحذر المولى تبارك وتعالى من آفات الكبر، وأنزل سبحانه الآيات التي تنهى عن الخيلاء الكاذبة، والكبر الفارغ، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً**﴾ (الإسراء: ٣٧).

يقول الشيخ سيد قطب: «والإنسان حين يخلو قلبه من الشعور بالخالق القاهر فوق عباده، تأخذه الخيلاء بما يبلغه من ثراء أو سلطان، أو قوة أو جمال، ولو تذكر أن ما به

من نعمــة فمن الله، وأنه ضــعيف أمام حــول الله، لطامن (نزل) من كـبـريائه، وخفف مـن خيـلائه، ومــشى على الأرض هونًا لا تيهًا ولا مرحًا.

والقــرآن يجبه المــتطاول المختــال المرح بضعــفه وعــجزه وضآلته، ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾، فالإنسان بجسمه ضئيل هزيل، لا تبلغ شيئًـا من الأجسام الضخمة التي خلقـها الله، إنما هو قوي بقوة الله، عزيز بعزة الله، كريم بروحـه الذي نفخه الله فيه ليتصل به، ويراقبه ولا ينساه». اهـ.

* رأى البخـتري العابد رجـلاً من آل علي، يمشي على الأرض وهو يخطر في مشيـته، فقال: يا هذا . . إن الذي أكرمك لم تكن هذه مشيته، فتركها الرجل بعد.

* ورأى عبد الله بن عمر رجلاً يخطر في مشيته، فقال: إن للشياطين إخوانًا.

عقوبة المختال الخسف:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«بينما رجل يمشي في حلة يعجبه نفسه، مرجل رأسه، يختال في مشيته، إذا خسف الله به، فهو يتجلل في الأرض إلى يوم القيامة».**

(متفق عليه)

قارون وعاقبته:

وذكر الله سبحانه وتعالى مثال لمن أعطاه المال والجاه، ولكن قابل هذا النعيم بالتكبر على خلق الله، وكفران النعمة، وعدم شكر المنعم، فعاقبه الله بالخسف، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ** ﴾ (القصص: ٧٦).

وبعد ما صم قارون أذنه عن سماع النصح، وتعالى على قومه والإصرار على الفساد والاغترار بالمال، والبطر الذي يقعد بالنفس عن الشكران، وعندما تبلغ فتنة الزينة ذروتها،

والغطرسة والزهو والكبرياء تتدخل عدالة السماء لترحم ضعاف الناس من هذا البغي والكبر، وتحطم الغرور والكبرياء تحطيمًا، قال تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ (القصص: ٨١)، هذه كان العقوبة لمن تكبر وتعاظم، ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ ﴾، فابتلعته وابتلعت داره، وهوى في بطن الأرض التي علا فيها، واستطال فوقها جزاء وفاقا، وذهب ضعيفًا عاجزًا، لا ينصره أحد، ولا ينتصر بجاه أو مال.

وبعدما أخبر سبحانه وتعالى عن هلاك قارون، ذكر بعدها الدار الآخرة، ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين، الذين لا يريدون علوًا في الأرض، أي: ترفعًا على خلق الله وتعاظمًا عليهم، وتجبرًا ولا فسادًا فيهم، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص: ٨٣).

من أسباب الكبر .. اختلال القيم ومعايير التفاضل عند الناس:

وقد يكون السبب أو الباعث على التكبر إنما هو اختلال القيم، أو معايير التفاضل عند الناس، وذلك أن الجهل قد يسود في الناس إلى حد اختلال القيم، أو معايير التفاضل عندهم، فتراهم يفضلون صاحب الدنيا، ويقدمونه حتى لو كان عاصيًا أو بعيدًا عن منهج الله، في الوقت الذي يحتقرون فيه البائس المسكين الذي أدارت الدنيا ظهرها له، حتى وإن كان طائعًا ملتزمًا بهدى الله، وقد ألمح القرآن والسنة إلى هذا السبب أو إلى هذا الباعث من خلال رفض هذا المعيار، ووضع المعيار الصحيح مكانه، إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ (المؤمنون: ٥٥-٥٦).

وعن أبي العباس الساعدي ﷺ، قال: مر رجل على النبي ﷺ، فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟»، فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب

أن يُنكح، وإن شفع أن يُشفع، فسكت رسول الله ﷺ، ثم مر رجل آخر، فقال له رسول الله ﷺ: **«ما رأيك في هذا؟»**، فقال: يا رسول الله .. هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب أن لا يُنكح، وإن شفع أن لا يُشفع، وإن قال أن لا يُسمع لقوله، فقال ﷺ: **«هذا خير من ملء الأرض مثل هذا»** (متفق عليه، وأخرجه ابن ماجه).

جزاء المتكبر عن رسول الله:

عن سلمة بن الأكوع ﷺ: أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: **«كل بيمينك»**، قال: لا أستطيع، قال: **«لا استطعت»**، ما منعه إلا الكِبر، قال: فما رفعها إلى فيه (رواه مسلم).

المتكبر من أصحاب النار:

عن حارثة بن وهب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ألا أخبركم بأهل النار؟! كل عُتُلٍ جوَّاظٍ مُستكبرٍ»** (متفق عليه).

«والعُتل»: الغليظ الجافي، و «الجواظ»: الضخم المختال في مشيته.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «احتجت الجنة والنار، فقالت النار: فيَّ الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: فيَّ ضعفاء الناس ومساكينهم، فقضى الله بينهما، إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء، وإنك النار عذابي أعذب بك من أشاء، ولكليكما عليَّ ملؤها» (رواه مسلم).

وذكر ابن كثير في تفسير عن الحافظ محمد بن المنذر في كتاب العجائب الغريبة بسنده عن نوفل بن مساحق، قال: «رأيت شابًا في مسجد نجران، فجعلت أنظر إليه، وأتعجب من طوله وتمامه وجماله، فقال: تنظر إليَّ، فقلت: أعجب من جمالك وكمالك، فقال: إن الله ليعجب مني، قال: فما زال ينقص وينقص حتى صار بطول الشبر، فأخذه بعض قرابته في كمه، وذهب به» (ذكرها ابن كثير في قصة قارون).

أهل التكبر لا يحبهم الله:

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (النحل: ٢٣).

لقمان ينصح ابنه .. ويحذره من الكبر وعاقبته:

يقول السيد قطب في (الظلال): «ويستطرد لقمان في وصيته التي يحكيها القرآن هنا إلى أدب الداعية إلى الله، فالدعوة إلى الخير لا تجيز التعالى على الناس، والتطاول عليهم باسم قيادتهم إلى الخير، ومن باب أولى يكون التعالى والتطاول بغير دعوة إلى الخير أقبح وأرزل.

قال تعالى: ﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾.

(لقمان: ١٨-١٩)

والصعر داء يصيب الإبل فيلوي أعناقها، والأسلوب القرآني يختار هذا التعبير من الحركة المشابهة للصعر، حركة الكبر والازورار، وإمالة الخد للناس في تعالى واستكبار.

والمشي في الأرض مرحًا هو المشي في تخايل ونفخة، وقلة مبالاة بالناس، وهي حركة كريهة يمقتها الله، ويمقتها الخلق، وهي تعبير عن شعور مريض بالذات، يتنفس في مشيته الخيلاء، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، ومع النهي عن مشية المرح، بيان للمشية المعتدلة القاصدة، ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ والقصد هنا من الاقتصاد وعدم الإسراف، وعدم إضاعة الطاقة في التبختر والتثني والاختيال.

ومن القصد كذلك، لأن المشية القاصدة إلى هدف، لا تتلكأ ولا تتخايل، ولا تتبختر، إنما تمضي لقصدها في بساطة وانطلاق.

والغض من الصوت فيه أدب وشقة بالنفس، واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته، وما يزعق أو يغلظ في الخطاب إلى سيء الأدب، أو شاك في قيمة قوله، أو قيمة شخصه، يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق» اهـ.

آثار التكبر:

وللتكبر في الأرض بغير الحق آثار ضارة، وعواقب مهلكة:

١ - الحرمان من النظر والاعتبار: فمن آثار التكبر . . إنما هو الحرمان من النظر والاعتبار، ذلك أن المتكبر بترفعه على عباد الله، قد اعتدى من حيث يدري أو لا يدري على مقام الألوهية، ومثل هذا لابد له من عقوبات، وأول هذه العقوبات: الحرمان من الاعتبار، فتراه يمر على آيات الله المبثوثة في النفس وفي الكون، وهو في إعراض تام عنها:

قال تعالى: ﴿ **وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ** ﴾ (يوسف: ١٠٥).

ومن حرم النظر والاعتبار، كانت عاقبته البوار والخسران، لأنه سيبقى مقيمًا على عيوبه أو أخطائه، غارقًا في أوحاله، حتى تنتهي الحياة، كما عقب النبي ﷺ حين قرأ الآيات الأخيرة من سورة آل عمران: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ**

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: ١٩٠-١٩١).

فقال ﷺ: «ويل لمن قرأ هذه الآيات ثم لم يتفكر فيها»

وقد صرح سبحانه وتعالى على صرف آياته عن أصحاب التكبر، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (الأعراف: ١٤٦).

٢ - القلق والاضطراب النفسي: والأثر الثاني الذي يتركه التكبر على صاحبه، فإنما هو القلق والاضطراب النفسي، وذلك أن المتكبر يحب إشباعًا لرغبة الترفع والتعالى أن يحني الناس رؤوسهم له، وأن يكونوا دومًا في ركابه، ولأن أعزة الناس وكرامتهم يأبون ذلك، بل ليسوا مستعدين له أصلاً، فإنه يصاب بخيبة أمل، تكون عاقبتها القلق والاضطراب النفسي.

٣ - الملازمة للعيوب والنقائص: وأما الأثر الثالث الذي يتركه التكبر على صاحبه، إنما هي ملازمة العيوب والنقائص.

ذلك أن المتكبر لظنه أنه بلغ الكمال في كل شيء لا يفتش في نفسه، حتى يتعرف على عيوبها فيصلح من شأنها، ولا يقبل كذلك نصحًا أو توجيهًا أو إرشادًا من الآخرين، ومثل هذا يبقى غارقًا في عيوبه ونقائصه، وملازمًا لها إلى أن تنقضي الحياة، ويدخل النار مع الداخلين، قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾ (الكهف: ١٠٣-١٠٤).

٤ - ومن آثاره الحرمان من الجنة: ومن آثار الكبر الحرمان من الجنة، وذلك أمر بديهي، فإن من يعتدي على مقام الألوهية، ويظل مقيمًا على عيوبه ستنتهي به الحياة حتمًا، وهو على تلك الحالة من الكبر، لذلك يقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» (رواه مسلم).

٥ ـ قلة الأصدقاء والأحباب: ومما يجنيه المتكبر هو نفور الناس حوله، لأن القلوب جُبلت على حب من لان لها، وبغض من أساء إليها وعلا وتكبر، بل تحاول الابتعاد عنه، وعدم مجالسته، فينفض من حوله الأصدقاء والأحباب.

علاج داء الكبر:

اعلم أن الكبر من المهلكات وإزالته فرض عين، ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة، وعلاجه يكون علمي وعملي، ولا يتم الشفاء إلا بمجموعهما:

(أ) **أما العلمي:** فهو أن يعرف نفسه، ويعرف ربه تعالى، ويكفيه ذلك في إزالة الكبر.

فإنه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه لا يليق به إلا التواضع، وإذا عرف ربه علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا بالله.

عليه أن يعرف حقيقة نفسه، وأن يقرأ هذه الآيات كي تعرفه هذه الحقيقة، قال تعالى: ﴿ **قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ** (١٧)

مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ (عبس: ١٧-٢٢).

فقد أشارت هذه الآيات إلى حقيقة الإنسان، فلينظر ليفهم حقيقة خلقه، فهو لم يكن شيئًا مذكورًا، ثم كانت بداية من أخس الأشياء خلقه من تراب، ثم من نطفة، ثم صار شيئًا مذكورًا.

ولو علم الإنسان أنه خلق من التراب الذليل الذي يوطأ بالأقدام والنطفة القذرة بعد عدمها ليعرف حقيقة نفسه، وإنما أكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه، ويعلم بها عظمته وجلاله، وأنه لا يليق الكبرياء إلا به - جَلَّ وعلا -.

فمن كان هذا بدءه، وهذه أحواله فمن أين له البطر والكبرياء، والفخر والخيلاء، وهو على الحقيقة أضعف الضعفاء.

(ب) العلاج العملي:

١ - تذكير الإنسان والآثار المترتبة على التكبر، فلعل هذا التذكير يحرك النفس من داخلها، ويحملها على أن تتوب.

٢ - عيادة المريض، ومشاهدة المحتضرين وأهل البلاء، وتشييع الجنائز، وزيارة القبور، فلعل ذلك أيضًا يحركه من داخله، ويجعله يرجع إلى ربه بالإخباب والتواضع.

٣ - مجالسة ضعاف الناس وفقرائهم، ومؤاكلتهم ومشاربتهم، كما كان يضع النبي ﷺ وأصحابه الكرام، فإن هذا مما يهذب النفس، ويجعلها تقلع عن غيها، وتعود إلى رشدها.

٤ - النظر في سير وأخبار المتكبرين .. كيف كانوا؟؟ وإلى أي شيء صاروا؟ .. من إبليس والنمرود، وإلى فرعون وهامان وقارون، إلى أبي جهل وإلى سائر الطغاة المتكبرين في كل العصور، فإن ذلك مما يخوف النفس، ويحملها على التوبة والإقلاع، خشية أن تصير إلى نفس المصير.

وكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ خير ما يعين على ذلك، حيث قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾ (الروم: ٩)، وقال تعالى: ﴿ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) فَكُلاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾.

(العنكبوت: ٣٩-٤٠)

٥- حمل النفس على ممارسة بعض الأعمال التي يتأفف منها كثير من الناس من شراء الطعام وحمله، وسائر ما يلزمه بنفسه.

٦- التذكير بمعايير التفاضل والتقدم في الإسلام بالتقوى والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

(الحجرات: ١٣)

الوصية التاسعة

قال تعالى: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ (لقمان:١٩).

وتسير الوصية مع هذا الأدب الرفيع في النهي عن مشية التبختر ببيان وتوضيح المشية المعتدلة القاصدة، ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ ، والقصد هنا من الاقتصاد وعدم الإسراف، وعدم إضاعة الطاقة في التبختر والتثني والاختيال.

لأن المشية القاصدة إلى هدف، لا تتلكأ ولا تتخايل ولا تتبختر، إنما تمضي لقصدها في بساطة وانطلاق.

من هنا نوه سبحانه وتعالى في كتابه، ومدح عباده المتصفين بصفة التواضع، قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾ .

(الفرقان: ٦٣)

من صفات عباد الرحمن التواضع بين الأنام، والبعد عن التكبر والخصام، والتواضع فضيلة كريمة، وصفة حميدة، تحبب العبد الذي يتخلق بها إلى الناس، وتعظمه في نفوسهم، وتجعل منه ملء العيون والقلوب، ولذلك نجد أن الناس يشتهون قرب المتواضع، ويتمنون لقاءه، ويستأنسون بحديثه، بل ويعشقون معاملته، ويتفانون في خدمته.

وللتواضع: من الفوائد الأخروية والدنيوية، ما لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى.

فمن الفوائد الأخروية أنه يجلب رضى الرحمن، ودخول الجنان، والنجاة من النيران، والفوز بالحور العين، والسكنى مع النبيين والصالحين.

ولو نظرنا وتأملنا لوجدنا أن للتواضع من الفوائد الدنيوية كذلك الخير الكثير، فمنها أنه يكسب العبد السلامة، ويرفع الحقد من قلبه، ويورث قلبه المحبة للآخرين، ويورث محبته والهيبة له.

خطاب الله تعالى لنبيه ﷺ:

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بالتواضع لمن آمن به من المؤمنين، فقال تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء: ٢١٥).

أي: تواضع، وألن جانبك يا محمد ﷺ لمن كان من أتباعك من المؤمنين، فإن لم يطيعوك، وانصرفوا عنك، وخالفوا أمرك، فتبرأ منهم ومن أعمالهم.

وقال سبحانه في الثناء على أوليائه بوصف التواضع فيهم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾.
(المائدة: ٥٤)

وعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد، ولا يبغى أحدٌ على أحد» (رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه).

المتواضع يرفعه الله:

عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: **«ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»** (رواه مسلم).

وعن نصيح العنسي عن ركب المصري، قال: قال رسول الله ﷺ: **«طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل في نفسه من غير مسألة، وانفق مالاً جمعه في غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة، طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريرته، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه، وانفق الفضل من ماله، وامسك الفضل من قوله»** (رواه الطبراني في «الترغيب»).

المسلم يتواضع في غير مذلة ولا مهانة، والتواضع من أخلاقه المثالية وصفاته العالية.

وقد مدح الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بصفات كثيرة، منها أنهم كانوا في الدنيا يتواضعون، ولا تكبرون،

فقــال سبحــانه وتعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾ (الفرقان: ٦٣).

قال ابن عــباس ﷺ: هم المؤمنون الذين يمشــون علماء حلماء ذوي وقار وعفة.

وعن عمر بن الخطاب ﷺ: أنه رأى غلامـًا يتبختر في مشــيته، فقــال: إن البختـرة مشية تكره إلا في ســبيل الله (يعني: الجهاد).

قال ابــن كثــير ـ رحمــه الله ـ: هذه صــفات عــباد الله المؤمنين، ﴿ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (الفرقان: ٦٣)، أي: بسكينة ووقار من غير جبرية ولا استكبار، ولا مرح ولا أثر ولا بطر، وليس المراد أنهم يمشون كــالمرضى تصنعًا ورياءً، وقد كره السلف الصالح المشي بتضعف وتصنع، حتى روى عن عــمــر بن الخطاب ﷺ: أنه رأى شــابًا يمشي رويدًا، فقــال له: ما بالك؟ .. أأنت مــريض؟، قال: لا يا أمــير المؤمنين، فعلاه بالدرة، وأمره أن يمشي بقوة.

قال الحسن - رحمه الله -: هم الحلماء لا يجهلون، وإن جهل عليهم حلموا ولم يسفهوا، هذا نهارهم، فكيف ليلهم؟، خير ليل، صفوا أقدامهم، وأجروا دموعهم، يطلبون إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - فكاك رقابهم.

قال الإمام الطبري - رحمه الله -: في التواضع مصلحة الدنيا والدين، فإن الناس لو استعملوا في الدنيا لزالت من بينهم الشحناء، ولاستراحوا من تعب المباهاة والفخر.

الجنة للمتواضعين:

قال تعالى: ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ (القصص: ٨٣).

قال ابن كثير - رحمه الله -: يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول، جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علوًا في الأرض، أي: ترفعًا على خلق الله، وتعاظمًا عليهم، وتجبرًا عليهم، ولا فسادًا فيهم.

وصدق القائل:

تواضع إذا ما نلت في الناس رفعة
فإن رفيع القوم من يتواضع

تواضع رسول الله ﷺ:

ينبغي لكل عبد أن يقتدي بالنبي ﷺ في أخلاقه، فمجامع حسن الأخلاق والتواضع، سيرة النبي ﷺ، فمن طلب التواضع فليقتدي برسول الله ﷺ، فلقد كان أعظم خلق الله مكانة في الدنيا والدين، فلا عز ولا رفعة، ولا سمو في الدنيا والآخرة إلا في الاقتداء به ﷺ.

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: في حق رسول الله ﷺ: «كان يحلب الشاة ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويأكل مع خادمه، ويشتري الشيء من السوق، ويصافح الغني والفقير، ويسلم مبتدئًا على كل من استقبله من صغير أو كبير، يُجيب إذا دُعي، ولا يحقر ما دعى إليه، لين الخلق، جميل المعاشرة، طليق الوجه، شديد في غير عنف، متواضعًا في غير مذلة، جواد من غير سرف، رقيق القلب ﷺ».

عن أنس رضي الله عنه: أن امرأة عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق من طرق المدينة، فقالت: يا رسول الله .. إن لي إليك حاجة، فقال: **«يا أم فلان اجلسي في أي سكك المدينة شئت أجلس إليك»**، قال: ففعلت، فقعد إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قضى حاجتها (رواه البخاري ومسلم).

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: سأل رجل عائشة رضي الله عنها: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في بيته؟، قال: **«نعم .. كان رسول الله ﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته»** (رواه الترمذي وصححه الألباني).

وعن أنس رضي الله عنه: أنه مر على صبيان فسلم عليهم، وقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله (متفق عليه).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم»**، قال أصحابه: وأنت؟، قال: **«نعم .. كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»** (رواه البخاري).

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعًا وأقربهم إلى الضعيف والمسكين وأبعدهم عن الكبر والترفع.

ولما بيَّن ﷺ لأمته بعض ما خصه الله به لقوله: «أنا سيد ولد آدم»، أضاف إلى ذلك ما يبرئ ساحته من الفخر، وحاشاه من كل نقص، فقال: «ولا فخر» (أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد).

ومن تواضعه ﷺ ما شاهده الناس عند دخوله مكة، فكان متواضعًا حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح العظيم، وكان ﷺ يرشد أمته إلى التحلي بصفة التواضع ويرغبهم في التخلق بها، ومما قاله ﷺ في ذلك: «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» (رواه مسلم).

وهو ﷺ سيد المتواضعين وأسوتهم وقد رفعه الله إلى أعلى الدرجات، رفع قدره وأعلى منزلته وخلد ذكره.

عن جرير رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي ﷺ من بين يديه، فاستقبلته رعده (خوف ورهبة)، فقال رسول الله ﷺ: «هون عليك؛ فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد ـ اللحم المجفف ـ» (رواه الطبراني).

تواضع الصحابة والتابعين:

عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه في يوم حار واضعًا رداءه على رأسه، فمر به غلام على حمار، فقال: يا غلام .. احملني معك، فوثب الغلام عن الحمار، وقال: اركب يا أمير المؤمنين، قال: لا .. اركب وأركب أنا خلفك، تريد تحملني على المكان الوطئ، وتركب أنت على الموضع الخشن، فركب خلف الغلام، فدخل المدينة وهو خلفه، والناس ينظرون إليه.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه: من تواضعه أنه كان يحلب لأهل الحي أغنامهم، فلما بُويع له بالخلافة، قالت جارية من أهل الحي: الآن لا تحلب لنا منائح دارنا، فسمعها أبو بكر، فقال: بلى، لعمري لأحلبنها لكم، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خُلُق كنت عليه، فكان يحلب لهم الأغنام، وهو أمير وخليفة المسلمين.

عثمان رضي الله عنه: كان يتوضأ في الليل بنفسه، فقيل: لو أمرت بعض الخدم فكفوك، فقال: لا، إن الليل لهم يستريحون فيه. وكان يركب بغلته وخلفه غلامه، وهو خليفة المسلمين.

سلمان رضي الله عنه: كان أميرًا على المدائن، فجاء رجل من أهل الشام من بني تميم، معه حمل تين، وعلى سلمان عباءة، فقال الرجل لسلمان: تعالى أحمل، وهو لا يعرف سلمان، فحمل سلمان فرآه الناس، فعرفوه، فقالوا: هذا الأمير، قال: لم أعرفك، فقال سلمان: حتى لا أبلغ منزلك، قد نويت فيه نية فلا أضعه حتى أبلغ بيتك.

أبو هريرة رضي الله عنه: ولي أمارة مرة، فكان يحمل حزمة الحطب على ظهره، ويقول: أفسحوا للأمير ليمر.

ثلاث هن رأس التواضع:

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ثلاث هن رأس التواضع: أن يبدأ بالسلام من لقيه، ويرضى بالدون من شرف المجلس، ويكره الرياء والسمعة.

وقال أيضًا: إذا أراد الله بعبد خيرًا هداه إلى العبادة، وحبب إليه الدين وحسن صورته، وجعله في مكان كريم، ورزقه تواضع، فكان بذلك من صفوة عبادة المتقين.

عمر بن عبد العزيز: ومن تواضع عمر بن عبد العزيز رحمه الله، أنه أتاه ليلة ضيف وكان يكتب، فكاد السراج يطفأ، فقال الضيف: أقوم إلى المصباح فأصلحه؟، فقال: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه.

فقال الضيف: إذًا أنبه الغلام؟، فقال عمر: إنها أول نومة نامها فلا تنبه، وذهب عمر وملأ المصباح زيتا، ولما قال له الضيف: قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين؟، أجاب قائلاً: ذهبت وأنا عمر، ورجعت وأنا عمر، ما نقص مني شيء.

صفات المتواضعين:

١ ـ أن من صفات المتواضعين أنهم يكرهون أن يقوم أحد من الناس لهم وهو قعود.

٢ - ومن صفـاتهم، أنهم لا يحبـون أن يمشي وراءهم أحد، ولذا كان أصحاب رسول الله ﷺ و رضي الله عنهم يكرهون أن يسير الناس خلفهم.

فكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لا يُعرف من عبيده، لأنه كان يمشي معهم ولا يتميز عليهم.

وسار قوم خلف عبد الله بن مسعود، فنظر إليهم غاضبًا وقال لهم: ارجعوا فإنها فتنة للمتبوع، وذلة للتابع.

٣ - ومن صفاتهم ايضًا: أنهم يزورون غيرهم، ما داموا يعلمون أن في تلك الزيارات منفعة لغيرهم في الدين.

٤ - ومن صفاتهم: أنهم لا يستنكفون من جلوس غيرهم إلى جوارهم، أو بالقرب منهم.

٥ - ومن صفاتهم: أنهم يقومون بما يستطيعون به من أعمال في بيوتهم وخارجها، ولنا في النبي ﷺ أسوة حسنة، فقد كان يخدم أهله في كل شأن يستطيع أن يقوم به.

٦ ـ **ومن صفاتهم**: أنهم لا يأنفون من حمل لأمتعتهم الخاصة، لأنهم يعلمون أن الشرف في ذلك.

قال علي ﷺ: لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء إلى عياله.

ونظر أحدهم إلى علي بن أبي طالب، وهو يحمل طعامًا، فقال الرجل: أحمل عنك يا أمير المؤمنين، فقال: لا أبو العيال أحق أن يحمل.

ثمرات التواضع:

١ ـ إن العبد إذا تواضع لله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، فقد عمل بما أوحى الله إلى نبيه ﷺ في أمره إياه بلزوم التواضع، والبعد عن التكبر، ومن فعل ذلك، فقد فاز بسعادة الدنيا، وخير الآخرة.

٢ ـ إن العبد إذا كان لله من المتواضعين، فإنه يبارك له في ماله، ويدفع المضرات التي تأتي إليه، ويجعل هذا العبد يسود بين الناس، ويعظم في القلوب ذكره، ويكرمه الناس عند مجيئه.

٣ ـ إن التواضع هو شعار الإيمان، فإذا لزمـه العبد، فقد تمسك بشعار الإيمان، وحاز الرضا من ربه قبل الناس.

٤ ـ الابتعاد عن الشـهرة الكاذبة، والصيت الزائف، وذلك أن العبد بتواضـعه، ومذلته في نفسه لله، تبـعده عن مواطن الرياء والزهو والغرور، التي تسـتدعي بدورها ادعاء الشـهرة الكاذبة، أو إظهـار الصـيت الزائف، طلبًـا لإرضـاء الناس، والتقرب إليهم، ولكن التـواضع والتخلق به ينجى العبـد من هذا المرض الخطير، والوباء العظيم، أعاذنا الله منه أجمعين.

٥ ـ إن العبد بتواضعـه، يكون من أهل السعادة والسيادة في الدنيا قبل الآخرة، لأن من تواضع لله رفعه، ومن تكبر على الله وضعه.

وصدق من قال:

تواضع تكن كـالنجم لاح لناظر
على صـفـحـات الماء وهو رفـيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه

إلى طبقات الجو وهو وضيع

ومن قال:

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعًا

فكم تحتها قوم هم منك أرفع

فإن كنت في عز وحرز ومنعة

فكم مات من قوم هم منك أمنع

* ❋ *

نهاية الوصية



قال تعالى: ﴿ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (لقمان:١٩)

وينهى لقمان وصيته لابنه بخفض الصوت والكلام بهدوء، والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس، واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته، وما يزعق أو يغلظ في الخطاب إلا سيء الأدب، أو شك في قيمة قوله، أو قيمة شخصه، يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة وعلو الصوت، كالمثال المشهور: «خذوهم بالصوت».

والأسلوب القرآني يرذل هذا الفعل ويقبحه في صورة منفرة محتقرة بشعة حين يعقب عليه بقوله: ﴿ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾.

قال مجاهد وغير واحد من علماء التفسير: إن أقبح الأصوات لصوت الحمير، أي: غاية من رفع صوته أنه يشبه

بالحمير في علوه ورفعه، ومع هذا هو بغيض إلى الله تعالى، وهذا التشبيه في هذا بالحمير يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم.

وهذه الوصية تعلمنا لغة الحوار الهادئ دون رفع الصوت بضوضاء وصخب.

وقد أورد الإمام النووي - رحمه الله - في كتابه (رياض الصالحين) بابًا بعنوان (كراهية التقعر في الكلام والتشدق فيه، وأورد أحاديث منها:

* عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**هلك المتنطعون - قالها ثلاثًا**» (رواه مسلم). **والمتنطعون**: المبالغون في الأمور.

* وقال ﷺ: «**إن الله يُبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة**» (رواه أبو داود والترمذي).

هكذا النهي عن المبالغة في الأمور من رفع الصوت والتحدث مع الآخرين، وغير ذلك من التشدق، كل ذلك مخالف لهدي رسول الله ﷺ.



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

هذا ما تيسر جمعه وأسأل الله بره؛ فإن وجدت أيها القارئ الكريم في هذا الكتاب جهدًا، فادعو لكاتبه بالرحمة والمغفرة، وإن وجدت عيبًا فكن لي ناصحًا، وأكن لك شاكرًا، فالكمال لله وحده، والعصمة لأنبيائه ورسله.

وأسأل الله العظيم أن يكون خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكون في كفة حسناتي ووالدي وأهل بيتي والمسلمين، ومن له الفضل علي إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

كتب

عبد الجليل أحمد علي



المراجع

١ ـ «القرآن الكريم».
٢ ـ «تفسير ابن كثير».
٣ ـ «تفسير في ظلال القرآن» سيد قطب.
٤ ـ «تفسير آيات الأحكام» للصابوني.
٥ ـ «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن» فؤاد عبد الباقي.
٦ ـ «فتح الباري شرح صحيح البخاري».
٧ ـ «رياض الصالحين» للنووي.
٨ ـ «الداء والدواء» لابن القيم.
٩ ـ «منهاج المسلم» أبو بكر الجزائري.
١٠ ـ «جامع العلوم والحكم» ابن رجب الحنبلي.
١١ ـ «حياة الصحابة» للكاندهلوي.
١٢ ـ «الترغيب والترهيب» للمنذري.
١٣ ـ «الكبائر» للذهبي.

١٤ ـ «**تهذيب موعظة المؤمنين**» للقاسمي.

١٥ ـ «**تربية الأولاد في الإسلام**» عبد الله ناصح علوان.

١٦ ـ «**من أخلاق الرسول**» عبد المحسن بن حماد.

١٧ ـ «**توجيهات إسلامية**» جميل زينو.

١٨ ـ «**التواضع**» مجدي فتحي السيد.

١٩ ـ «**الرحيق المختوم**» المباركفوري.

٢٠ ـ «**البحر الرائق**» أحمد فريد.

٢١ ـ «**عدة الصابرين**» ابن القيم.

٢٢ ـ «**الإيمان وشعبه**» فتحي منصور.

٢٣ ـ «**الوابل الصيب**» ابن القيم.

٢٤ ـ «**فتح المجيد**» عبد الرحمن آل الشيخ.

٢٥ ـ «**الثمرات الزكية**» أحمد فريد.

٢٦ ـ «**المشكاة فيم يصح ولا يصح في الصلاة**» أبو عبد الرحمن القاضي.

٢٧ ـ «**هداية المرشدين**» علي محفوظ.

٢٨ ـ «**آفات على الطريق**» السيد نوح.

٢٩ ـ «**معالم التوحيد في موعظة لقمان الحكيم**» د. أحمد السعدني.

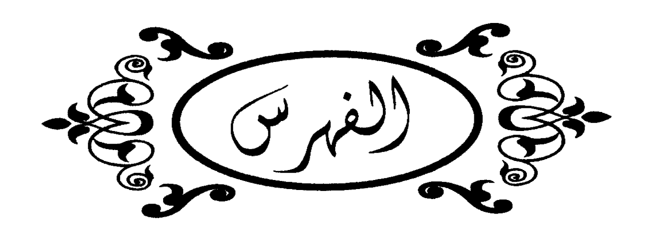
ـ مجلة «**منبر الإسلام**» عدد (٥٦) ـ سنة (١٤١٨هـ) (١٩٩٧م).

ـ مجلة «**الوعي الإسلامي**» عدد (٣٨٠، ٣٨١) ـ سنة (١٤١٨هـ)، (١٩٩٨م).

٣٠ ـ مجلة «**الوعي الإسلامي**» عدد (٣٨٦) ـ سنة (١٤١٨هـ)، (١٩٩٨م).

* ❋ *

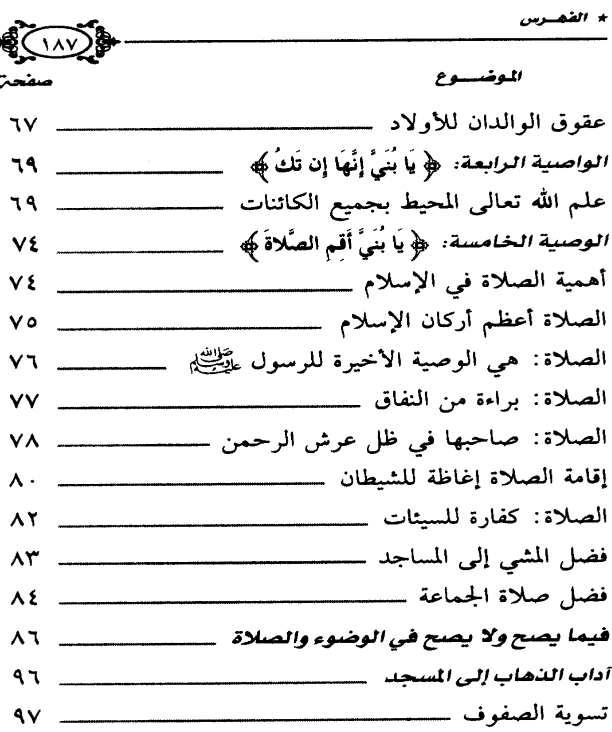



الفهرس



الفهرس

الموضـــوع | صفحة



الموضوع | صفحة

الموضوع | صفحة

الموضـــوع | صفحة

من أحدث مطبوعات دار الإيمان

هل تجزئ القيمة في الزكاة؟

إعداد

محمد أحمد إسماعيل المقدم

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين







فاكس : ٢٤٣٣٢٤٩
محمول : ٠١٠ ١٩٠٠٠٣٨٠